حنان اللحام

محاور وسنن اجتماعية

في القرآن الكريم

دار الحنان

محاور وسنن اجتماعية في القرآن الكريم



مَحَاوِرُ وَسُنَنٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

١٨ / ١ / ٢٠١٥م
٢٨ ربيع الأول ١٤٣٦هـ

حَنَانُ اللَّحَّام

دَارُ الحَنَان

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م

دار الحنان للنشر

دمشق - هاتف : ٦١١٥٦٧١ - ٠٩٣٣٨٤٠٦٢٦

الإهداء

إلى جيل قادم . . قد جاء ليلقي السمع وهو شهيد . .

يفتتح عصراً جديداً من الانفتاح الفكري والاستنارة . .

مشفقاً على معاناة الناس وعذاباتهم وسط جاهلية عمياء يتلاعب فيها الكبراء . . يأتي من أقصى البلدان يسعى صادقاً في طلب الحق وخدمته . .

هاتفاً بالناس وللناس : « يا قوم اتبعوا المرسلين » .

سدد الله خطاهم . . وحقق على أيديهم انبعاث الأمة من الرقاد كي ترتقي الإنسانية إلى الرشاد . .

حنان لحام

تقديم

تساءلت في نفسي بعد أن أوغلت في السبعينات من العمر . .

هل يكفي ما قدمت للجيل القادم من بعدي ؟

وهل بقي لنا ما نسجله من عصارة فكرنا وجهدنا . . نحن جيل الهزائم . . والذي تجرع من عواقب أعماله وأعمال من سبقه من المسلمين المتخاذلين الذين اكتفوا من الأقوال بالتباهي بأمجاد السابقين . . واستعاضوا عن الأعمال بالأماني . . !! وقعدوا يَسْتَجْدون من الله التوفيق في كل أمر . . وهم خاملون . . ولعقولهم معطلون !! ربما يكفر عنا بعض خطايانا أن نسجل لهم آخر ما وصلنا إليه من أفكار . . ونقول لهم : لقد وصلنا إلى هنا . . فلا تقفوا حيث وقفنا . . بل تجاوزونا . .

دققوا فيما وصلنا إليه ونقحوه . . ليكون الصحيح منه لبنة في صرح جيل نهضوي جديد . . يبحث وينقب ليفهم ويعمل . . كان جيلنا كثيراً ما يفكر ليتكلم . . . وأنتم ستفكرون وتخططون وتعملون . .

نسأل الله لكم السداد حتى تحصدوا ثماراً أفضل مما حصدنا . . فأنتم خير ما بقي لنا من أمل . . ولن يخيب الله رجاءنا .

مواضيع القرآن

من أهم الأمور التي تواجه الإنسان عند بداية تفتحه الفكري تلك الأسئلة الوجودية . .

ـ من أين جئت ؟ وإلى أين أذهب ؟ ـ لماذا الحياة والموت ؟ ـ وما هو دوري في الحياة ؟ ـ ما هو ديني ؟ ـ وهل يكفي أنني مسلم بالوراثة ؟ ـ وماذا يعني الإسلام ؟ ـ وماذا عن الأديان الأخرى ؟

ولا شك بأن على الإنسان أن يدرس القرآن بتأنٍ ليصل إلى ما يروي ظمأه حول هذه الأمور . . وربما احتاج إلى من يأخذ بيده ويمنحه عدسة مكبرة تساعده على رؤية السطور وما بينها . . وهذا ما دفعني إلى كتابة هذا المخطوط . . إذ أردت أن أقول لمن يأتي من بعدي : ـ هذا ما وصلنا إليه . . فخذه ودقق به وامتحنه . . وشد العزيمة كي تزيد عليه . .

مواضيع القرآن تدور حول أربعة : الله ـ الإنسان ـ الكون ـ اليوم الآخر .

الله : خالق الإنسان والكون . خلق الإنسان خليفة في الأرض . وأعطاه الإمكانيات اللازمة : طاقة بدنية + عقل + كون مسخر له + عمر (زمان) . وحدد له أجلاً لنهاية الامتحان (الموت) .

الإنسان : عبد لله وسيد للكون . مستخلف لتطوير الحياة . وجزاؤه في اليوم الآخر .

الكون : دليل على الله ـ وخاضع لسننه ـ مسخَّر لخدمة الإنسان . **ينتهي** دوره عند قيام الساعة .

اليوم الآخر : نهاية الامتحان حيث تعلن النتائج وينال الإنسان جزاء ما نوى وفعل . . . وكما يقول مالك بن بني : إن العمل الإنساني لا بد أن يعطي الإجابة على (لماذا وكيف) حتى يكون مجدياً . . أما لماذا : ففيها تحديد للهدف . والهدف بالنسبة للمسلم هو رضا الله .

وأما كيف : فهي التي ترسم الخطة للوصول إلى رضا الله .

والقرآن الكريم يحدد أن الصراط المستقيم هو الذي يوصل المسلم إلى ربه . . لأنه ينظم شبكة علاقات ثلاثية مع : الله ـ والناس ـ والكون .

* * *

الصراط المستقيم

لنستعرض بسرعة شبكة العلاقات عند بعض الأمم . . لنقارنها بعد ذلك مع الشبكة التي يحددها القرآن .

في الجاهلية	عند الأمم المستكبرة
الإنسان : مع الله ← شرك	مع الله ← مقطوعة
مع الناس ← شريعة الغاب	مع الناس : عدل فيما بينهم واستكبار على الضعفاء
مع الكون ← عبودة	مع الكون : تسخير
مع اليوم الآخر ← انقطاع	مع اليوم الآخر ← انقطاع

في الإسلام :

الإنسان مع الله ← عبودية

ومع الناس ← عدل وإحسان

ومع الكون ← تسخير

وفي اليوم الآخر: الله هو المحاسب - الناس شهداء - نهاية الكون ودماره

ويمكن الاستشهاد بآية عن كل علاقة من القرآن الكريم

تعريف الصراط المستقيم : هو أقصر وأسهل طريق يوصل إلى الله بأقل التكاليف .

إن حقق **الإنسان** : عبودية لله + عدل وإحسان + تسخير للكون = عبور للصراط المستقيم إلى الله والصراط المستقيم وسيلة وليس هدفاً بحد ذاته . . وكما نعلم : الأهداف ثابتة ولكن الوسائل تتطور ولهذا فإن الصراط المستقيم

يتطور بتطور الوسائل والمعارف ويتغير بتغير أحوال الناس .

مثال : التعلم هو جزء هام لأداء هذه العلاقات الثلاثة . .

ففي الماضي كان أسلوب التعلم (الصراط المستقيم) هو : حلقات المسجد + القراءة على العلماء . .

الآن أسلوب التعلم : الانتساب للمدارس والجامعات + متابعة وسائل الإعلام والانترنت . .

وفي المستقبل قد يتطور أسلوب التعلم بما يتناسب مع تنامي العلوم وانجاز المزيد من وسائل المعلوماتية .

فإذا درسنا القرآن واجتهدنا في تحديد معالم الإسلام كدين . . وجدنا له ثلاثة محاور :

١ـ عقائد : ثابتة ولكن تتطور براهينها وتؤخذ بالإقناع ولا يكفي أن تولد مسلماً .

٢ـ عبادات : ثابتة وتنكشف الحكمة منها باستمرار . . وتؤخذ بالاتباع .

٣ـ معاملات : يلتزم فيها بالعدل والإحسان اللذين يتناسبان مع كل زمان ومكان . .

وبما أن أساليب الحياة تتغير وتختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان . . فلا بد من الاجتهاد لمعرفة العدل والإحسان المناسبين لكل ظرف وحال .

فلننطلق للتفصيل في كل عنصر من عناصر شبكة العلاقات في الإسلام .

❊ ❊ ❊

العلاقة مع الله : عبودية

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ما هي **العبادة** ؟ هي كل عمل ـ غير ممنوع شرعاً ـ تحسن النية فيه لله تعالى .

جاء في حديث أنه مر على النبي ﷺ رجل فرأى الأصحاب من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال ﷺ : « إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وإن كان خرج على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله . . »[1] .

ملاحظة :

١ـ هل يصح أن نقول : (ساعة لك وساعة لربك) ؟!

لا يصح . . حتى ساعة الاستجمام أمر بها الله لتجديد النشاط . . وحتى الزواج والحب والصداقة . .

٢ـ كيف نمتحن النية إن كانت خالصة لله ؟! أي أن نتحرر من الشرك الخفي ؟

إن كان مدح الناس وذمهم لك على ما تعمل بالنسبة لك سواء . (استواء السر بالعلانية) .

التوحيد : ومعنى (لا إله إلا الله) ـ وسنقف عند عدة محطات للتوحيد :

تعريف الشرك ـ كل شيء تحبه أكثر وتبذل له معظم مالك وجهدك ووقتك . هو إلهك .

---

(١) الطبراني صحيح الترغيب ١٦٩٢ .

التوحيد هو :

١ـ الإيمان بأن الله هو : الخالق الحاكم المجيب للدعاء .

الشرك الآن معظمه في جانبين : المجيب للدعاء والحاكم . « يؤمنون بالجبت والطاغوت » .

الجبت : هو كل من يدعي أنه يملك أن يضرك أو ينفعك . (الخرافة . . الكهنة والسحرة . .) .

الطاغوت : هو كل من يدعي أن الحكم له . . (الفراعنة ـ الطغاة ـ الديكتاتور . .) .

توضيح : المجيب للدعاء يتضمن الإيمان بسنن الله والقيام بالأسباب (المريض يأخذ الدواء ويدعو الله) .

٢ـ ترتيب الأولويات وإعطاء المركزية لله (العادة الثانية والثالثة من كتاب العادات السبع) إبدأ والمنال في ذهنك (توحيد الهدف) ـ ابدأ بالأهم ثم المهم . (ستيفن كوفي العادات السبع) .

الآية : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

٣ـ التوحيد هو إلغاء الامتيازات والعودة إلى كلمة السواء . . فالكل سواء تحت القانون .

ولهذا يعتبر حق الفيتو الآن هو الشرك الأعظم . لأن الدول الخمس الكبار يعطلون كل خير .

٤ـ التوحيد هو نفي وإثبات : نفي (لا إله) وإثبات (إلا الله) . . ولا بد من

النفي قبل الإثبات أن تقول للخطأ (لا) هو نصف التوحيد . (لا تطعه) ـ والنصف الآخر طاعة الله (واسجد واقترب) يتحدث القرآن عن مشكلة كبرى يعاني منها الناس وهي وجود الطغاة والمستكبرين . . ويعطي التحليل الدقيق لهذا المرضى (الاستكبار) بأنه ثمرة لخضوع المستضعفين . .

١ـ فالاستكبار يتغذى بخضوع المستضعف ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

٢ـ ويصف العلاج بأنه يبدأ من المستضعف . . ﴿ لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴾ [العلق : ١٩] . . وهنا يستأسد المستكبر في الدفاع عن طغيانه ويتوجه بالتعذيب والتنكيل بهذا المستضعف المتمرد . .

ولا بد للمستضعفين من الصبر والثبات على موقفهم في عدم طاعة المستكبر وتحمل الأذى .

٣ـ وعندها تأتي المرحلة الثالثة التي يتم فيها القضاء على الاستكبار وتوريث خلافة الأرض للمستضعفين المؤمنين الذين كسروا الطغيان برفضهم للخضوع وصبرهم على الأذى .

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

وهكذا نجد التوحيد يحرر الإنسان من الدجالين والطغاة . . ويجعله قادراً على الخلافة وإصلاح الحياة وقد انتبه المؤرخ توينبي إلى أهمية فكرة التوحيد . . وقال لولاها لظل الإنسان عابداً خاضعاً لمظاهر الكون . . ولانعدم التقدم العلمي وخسرنا التسخير للكون لخفاء سننه وقوانينه .

ـ من الجميل أن نتأمل نموذجاً فريداً للعابدين لله . . ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ في آخر سورة الفرقان .

حيث تظهر عبادة الله في الحركات والسكنات والسمات والسلوكيات ونمط التفكير . .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ .

ـ أضيف أن الأستاذ جودت يقول : إن الديموقراطية هي التوحيد . . وفي الحقيقة الديموقراطية من حيث أنها مساواة وإلغاء للامتيازات هي جزء من التوحيد . . والصورة الأرضية له .

ويبقى التوحيد أكبر من حيث أنه عبادة وخضوع لله وحده .

* * *

العلاقة مع الناس : عدل وإحسان

العدل : أن تعطي كل إنسان حقه كاملاً دون زيادة ولا نقصان. . وهو مطلوب حتى مع العدو . هو إشارة = بين كل الناس (المعادلة طرفان بينهما =) أن يتساوى المواطنون جميعاً في الحقوق والواجبات وفي الخضوع للقانون .

أمثلة : الأبوان مع أولادهما ـ المعلم مع تلاميذه ـ القاضي ـ الحاكم ـ هيئة الأمم .

« فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد »(1) .

ـ الارتقاء يتم وفق ثلاث مراحل :

١ـ لا تدفعك الكراهية إلى الاعتداء ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة : ٢] .

٢ـ لا تدفعك الكراهية إلى عدم العدل ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ [المائدة : ٨] .

٣ـ ادفع السيئة بالحسنة : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

الإحسان : أن تعطي الآخر زيادة على ما يستحق ولكن من حسابك لا على حساب الآخرين وهو مستحب حتى مع العدو . وقد عرَّفه النبي ﷺ « أن

---

(1) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٠٤٦ .

تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[١] . أي أنه شعور في القلب برقابة الله يدفعك إلى إتقان العمل وأدائه على أحسن وجه . . وفي حديث آخر « إن الله كتب الإحسان على كل شيء »[٢] .

أمثلة :

إلقاء الأوساخ في الطريق : **ظلم** . والمشاركة في تنظيف الطريق : **إحسان**

الالتزام بالدور عند الطبيب أو غيره : **عدل** . التنازل عن دورك لغيرك : **إحسان**

نتائج المقارنة بين العدل والإحسان :

١ـ تارك العدل : ظالم ومؤاخذ . . وتارك الإحسان تارك للأفضل .

٢ـ العدل والإحسان مطلوبان مع الصديق والعدو ويحتاج الأمر إلى حكمة لوضع كل منهما في مكانه .

٣ـ لا يجوز للقاضي أن يحكم بالإحسان بل بالعدل . وله أن ينصح بالتسامح . .

٤ـ العدل يردع المجرمين ويحقق الأمن للمجتمع ويحميه من الثورات .

٥ـ والعلاج للعداوة يتم بالإحسان وفيه ارتقاء ونمو للمجتمع . . ومن الواضح أن العداوة لا تعالج بمثلها .

٦ـ على مستوى اجتماعي يعبر عن الموضوع :

في العدل : الحقوق = الواجبات .

أما في الإحسان : الواجبات أكبر من الحقوق .

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري ـ رقم ١٢٤٩ .

ففي الأمم الراكدة : الاستهلاك = الانتاج ـ أما في الأمم المتقدمة : الانتاج أكبر من الاستهلاك .

وأما الأمم المتخلفة فهي التي يكون فيها الاستهلاك أكبر من الانتاج (تطالب بالحقوق وتهمل الواجبات) .

أمثلة : في الأسرة ـ في المدرسة ـ في المصنع . .

عالم الكبار يسعى لإبقاء الأمم المتخلفة مستهلكة لتشتري منهم فائض الانتاج . ويستخدمون الإعلام والدعاية لتنمية روح الاستهلاك عندنا (التسوق) .

ودور الأم هام جداً في تعويد الطفل على ترشيد الاستهلاك .

* * *

العلاقة مع الكون : التسخير

الكون مسخر للإنسان بشرط أن يكشف قانونه فلا يحدث التسخير بدون علم .

العلم في القرآن

موقف القرآن من العلم :

امتدحه وأمر به حتى في الإيمان بالتوحيد ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] .

إلا عندما يكون ناقصاً أو محدوداً : « وفرحوا بما عندهم من العلم » .

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الروم : ٧] . . ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم : ٣٠] لأنه يؤدي إلى الغرور . ويؤدي إلى التكذيب بالحقائق . . إذ يظن نفسه قد أحاط بالعلوم .

مصطلحات في القرآن تدل عليه :

- السنن : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] أي القوانين .
- الأسباب : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف : ٨٤ ـ ٨٥] .
- العواقب : ﴿ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام : ١١] .
- الآيات : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

أجهزة العلم :

« السمع والبصر والفؤاد » . والفؤاد في القرآن هو : العقل ـ اللب ـ القلب .

والقرآن ينتقد الذين عطلوها . . « لهم قلوب لا يعقلون بها . . » . « أولئك كالأنعام بل هم أضل » هل تكفي هذه الأجهزة وحدها للوصول إلى العلم ؟

أمثلة : عن أخطاء البصر : القلم في كوب ماء يظهر كأنه مكسور ـ الرصيفان يلتقيان في آخر الشارع (قواعد المنظور) .

عن أخطاء السمع : الصدى ـ محدود ضمن موجات صوتية محددة .

عن أخطاء الفؤاد (العقل) : تتحكم فيه الصورة الذهنية الناتجة عن ثقافة البيئة أحياناً .

ـ تحدث بعض العلماء عن مراتب الوجود الأربعة :

١ـ الحقيقة الخارجية . الكون والوجود كما خلقه الله .

٢ـ الصورة الذهنية : ينظر الإنسان إلى الحقيقة الخارجية فتتشكل في ذهنه صورة قد تكون مطابقة للواقع فتكون علماً وقد تكون غير متطابقة مع الواقع فتكون ظناً . . أو هوى ناتج عن أثر البيئة وهو ما ندد به القرآن « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » .

٣ـ الصورة اللفظية : التي يُعبر بها عن الصورة الذهنية التي تشكلت لديه .

٤ـ الصورة الكتابية : حين يكتب ما وصلت إليه الصورة الذهنية عنده من أفكار عن الواقع .

مثال : **التراث** : هو ما كتبه السابقون عن صورهم الذهنية . . ويسميه القرآن (الآباء) ولا بد من فحص التراث لفرز الأفكار التي انطبقت على

الحقيقة الخارجية فأصبحت علماً والتحرر من الأفكار الموروثة عن الآباء ولا تنطبق على الواقع .

مثال : علم الطب يتطور بهذا الشكل باستمرار . « بل نتَّبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .

ـ وسائل العلم :

أضافها الله إلينا دعماً لنا في طريق العلم .

١ ـ القراءة والكتابة : ﴿إقرأ باسم ربك﴾ . . . ﴿نون والقلم وما يسطرون﴾

القراءة لما كتب من تراث ولما استجد من أبحاث ـ والقراءة الكونية . (تأمل آيات الكون) .

الكتابة : تحبس العلم من الضياع بعد أن تعب الناس في تحصيله .

القراءة تختصر الجهد على الإنسان بحيث يحصل على علم السابقين وينطلق ليزيد في العلم ويتلافى النقص والأخطاء عند السابقين . . ثم يعود فيكتب لمن يأتي من بعده .

٢ ـ السير في الأرض : حضور الأحداث ـ مراقبة الواقع ـ قراءة التاريخ ـ مراقبة الأسباب والنتائج (العواقب) فيما نسمع عبر وسائل الاتصال .

كُلِّفت الأمة المسلمة بالشهادة . . وشروطها : الحضور ـ العلم ـ الأمانة في الحكم .

ـ آفات هذه الوسائل :

ـ آفة التلقي عن طريق قراءة ما كتب : الحرفية والجمود على ما فهمه السلف . وآفة الكتابة أنك تكتب صورتك الذهنية وقد تكون مليئة بالظن والهوى .

ـ وآفة النتائج أنها :

١ـ تأتي في الدنيا جماعية : أي بحسب سلوك الأكثرية . ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال : ٢٥] ـ وسؤال أم المؤمنين (أنهلك وفينا الصالحون) ؟ فقال ﷺ « نعم إذا كثر الخبث »[١] ففي بيئة فاسدة قد لا تظهر نتائج أعمال المصلحين في الدنيا .

٢ـ النتائج نوعان : عاجلة خداعة (مثل استمتاع شارب الخمر) وبعيدة المدى (أي ما هو خير وأبقى) . . من حيث ما يصيب شارب الخمر من أذى في صحته ونفسه وأسرته فيما بعد .

ـ مراحل العلم :

١ـ الملاحظة : وهي استعمال أجهزة ووسائل العلم في رؤية الواقع. . وهي مرحلة أمر بها القرآن : انظروا ـ تفكروا. . وتنشأ من ذلك : النظرية (وهي صورة ذهنية) .

٢ـ كشف السنة (القانون) : أن يفعل في الثاني ما فعل بالأول . ويتكرر في القرآن الأمر : ﴿أفلا يتدبرون﴾ . . ﴿أفلا يعقلون﴾ . أي : يربطون بين الأحداث ونتائجها .

٣ـ التسخير : استخدام القانون للسيطرة على الأحداث والأشياء وتوجيهها. . وهو ما يوصلنا إلى التقوى. . (الأفعال الخمسة : انظروا ـ تفكروا ـ اعقلوا ـ تذكروا ـ عندها تتقون) معنى : اتقوا : أي لا تصطدموا بالأمور ـ لأنك إن لم تعرف قانونها اصطدمت بها ـ بل وجهوها ، وهي مرحلة التسخير التي تأتي بعد رؤية الحدث والتفكير فيه ثم (العقل) ربط السبب بالنتيجة وكشف القانون وتذكره .

ـ متى يكون البحث علماً ؟ إذا مر بهذه المراحل الثلاث : الملاحظة

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٩٨٧ .

(التجربة) ـ كشف القانون ـ التسخير .

ـ كيف نمتحن صحة أفكارنا ؟ نمتحن أفكارنا بالتسخير فإن أثمرت العواقب المرجوة كانت علماً .

فروع العلم :

الآيات ثلاثة : آيات القرآن ـ آيات الآفاق (العلوم المادية) ـ .

آيات الأنفس (العلوم الإنسانية) .

آيات الآفاق والأنفس تشرح وتشهد لآيات القرآن بأنها الحق (مثال : الايدز) وكلها علوم شرعية .

ـ العلم يتغير وينمو لكن لا ينقض اليوم ما أثبت بالأمس (لأن التسخير أثبته)

ـ هل العلم محايد أخلاقيا ؟ ألا يستخدم في الشر والسيطرة على الناس ؟

السبب :

١ـ انقطاع العلاقة مع الله .

٢ـ تأخر العلوم الإنسانية ونقصها .

ـ بمزيد من العلم سينحاز العلم إلى الدين والأخلاق وسيثبت أن :

الالتزام بالدين يعطي السلامة والسعادة . وعندها يتطابق الدين مع العلم ويصبح الدين عالمياً لا يمكن إنكاره . . وعندها يأتي نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجاً .

* * *

عمل الله وعمل العبد

الناس تقول عن كل الأحداث : نصيب من الله . فما معنى أن يعذب العبد طالما أنه لا خيار له ؟!

- في القرآن : آيات تذكر عمل العبد وحده . . وآيات تذكر عمل الله وحده - وآيات تذكر العملين والعلاقة بينهما ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

- أيُّ العملين يأتي أولاً ؟ عمل العبد ثم يأتي عمل الله كثمرة ونتيجة له . .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] يجب الانتباه هنا أن الآيات المحكمات تضع القواعد وهي تشرح المتشابهات التي تذكر عملاً واحداً .

مثال عن المحكمات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] وتتمتها عن المتشابهات : ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ وإرادة الله هي سننه وقانونه .

مثال : قبل أن تضغط على الزناد لك الخيار ويمكن أن تمنع وقوع الجريمة لكن بعد أن تضغط لا يمكن أن تمنع الطلقة من الوصول إلى مرماها مهما ندمت وتبت . . أي أن النتيجة في الدنيا مؤكدة « لا مرد له » وأما التوبة فإنها تعفي من عقاب الآخرة فقط . لهذا قالوا : المساحة الوحيدة للحرية محصورة بين الحدث وردة فعلك عليه . (بين المثير والاستجابة) . فإذا صدر منك السلوك فقدت خيارك في الحصول على ما تريد . . « إلا الذين تابوا وأصلحوا » التصحيح يعطيك فرصة جديدة للنجاح .

ـ ذكر ابن تيمية أربعة أنواع للناس في موضوع القدر :

١ـ قدر المشركين : الذين قالوا : « لو شاء الله ما أشركنا ». . . فهم يرون عمل الله وحده . وهو ما يؤدي للتواكل .

٢ـ قدر المجوس : الذين لا يرون إلا عمل الإنسان. . وهم العلمانيون الذين يؤلهون الأسباب .

٣ـ قدر إبليس : اعترف بالعملين وجعلهما متعارضين ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

٤ـ قدر المؤمنين : يؤمن بالعملين ويعرف سنة الله . فيحمد الله عند النجاح . . ويدين نفسه عند الفشل . وهو التوكل الحقيقي .

ملاحظة : قول الله ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ لا تفيد الجبر. . وإنما علم الله المطلق فهو يعلم ما سيختاره كل واحد منا . . وليس كعلمنا . . ومع ذلك علينا بذل الجهد في تبليغ الجميع . . والله يعلم الغيب والشهادة وعلينا أن ننتبه أن آية التغيير (ما بقوم) جماعية . . فالنتائج جماعية (أي بحسب عمل الأكثرية) .

من المهم أن ندرك أن مصيرنا نحدده لأنفسنا بالإرادة والعمل . وعندها نطمئن لعدل الله وندعو بعد العمل وهو الأمر الذي اهتمت به أبحاث التنمية البشرية الآن ـ وبدأ به ستيفن كوفي عاداته السبع . . العادة الأولى : كن مبادراً فأنت تملك مصيرك . .

* * *

الإخلاص والصواب

متى ينجح العمل ويكون مقبولاً عند الله ؟ إذا توفر فيه الإخلاص والصواب .

وتنطبق القاعدة على أعمال الدنيا وأعمال الدين .

أعمال الدنيا : كالزراعة والصناعة والتربية والطب و. . والإخلاص هنا : أن تكون محباً للعمل مريداً له . والصواب فيه : أن تعرف سنن وقوانين هذا الجانب الذي تعمل فيه .

وفي **أعمال الدين** : كالعبادات والمعاملات . . الإخلاص هنا : أن تطلب رضا الله وحده .

والصواب أن يكون بحسب قوانين الله في القرآن والآفاق والأنفس .

الدليل من القرآن : الآيات (من ١٨ـ ٢٠) من سورة الإسراء . ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۞ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ .

ـ فإن فقد الإخلاص في أمور الدين كان : منافقاً ـ أو مشركاً . . ولا يغفر الله له في الآخرة .

وإن فقد الصواب في هذه الأمور كان : جاهلاً ـ أو ضالاً . قيل (من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح) ودواؤه التعليم . . وقد يغفر الله له إن كان يسعى للعلم .

ـ الصواب في العبادة بيَنَّه القرآن والسنة . أما الصواب في المعاملات وأعمال الدنيا فيحتاج إلى تعلم مستمر في الآيات الثلاث (القرآن ـ الآفاق ـ الأنفس) .

أمثلة : إخلاص بدون صواب : الأم الجاهلة . . كيف تحمي طفلها جسدياً ونفسياً . . ؟!

فإن وجد الصواب بدون إخلاص فمثاله كطبيب بدون ضمير . . .

أمثلة من التاريخ : إخلاص بدون صواب : الخوارج ـ الصوفيون تركوا الدنيا للكفار .

صواب بدون إخلاص : قارون كان عنده معرفة في جمع المال . . وكثيرون يعيشون على مركزية لغير الله وهي حالة فقدان الإخلاص . . .

مصطلحات هذه القاعدة في القرآن :

الإخلاص : آمنوا ـ أسلم وجهه لله ـ الأمين ـ الإرادة ـ الحفيظ ـ إياك نعبد . . .

الصواب : عملوا الصالحات ـ محسن ـ القوي ـ القدرة ـ العليم ـ إياك نستعين[1] . . .

نتائج :

١ـ أيهما يأتي أولاً : الإخلاص أم الصواب ؟

نبدأ من الصواب « فاعلم أنه لا إله إلا الله » . ثم تصبح العلامة جدلية بينهما ـ ويصبح الإخلاص محفزاً لتحصيل الصواب . . . ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ [التوبة : ٤٦] .

---

(١) لمزيد من الفهم يراجع كتاب : العمل قدرة وإرادة ـ جودت سعيد .

٢ـ أين النقص عند المسلمين ؟ في الصواب . . وعند العالم الغربي ؟ في الإخلاص .

٣ـ الصواب هو امتلاك القدرة . . والقدرة نوعان : ١ـ مادية . ٢ـ فهمية وهي الأساس في تطور التسخير .

٤ـ تمييز بين الإخلاص والصواب :

١ـ الإخلاص يصل إلى حد لا يمكن زيادته بينما تعلم الصواب لا نهائي .

٢ـ الإخلاص يمكن أن يورث وارثه . . ويمكن تحريكه بساعة وعظ . . بينما العلم لا يأتي إلا بالدرس والكسب (مثال : ابن الطبيب لا يرث الطب) .

٣ـ فاقد الإخلاص لا يغفر له أبداً بينما قد يغفر للجاهل إن سعى للعلم وإن أخطأ يكون له أجر .

٤ـ الإخلاص دافع محرك (وهو جواب على لماذا) . . وأما الصواب فيحدد الخطة والوسائل (كيف) .

٥ـ الإخلاص بدون صواب قد يؤدي إلى الانفجار (مثل الانتحاريين) . . أو التبدد والضمور (مثل يأس الشباب الآن وارتدادهم) . أما مع الصواب فقد سخرت طاقة البخار في صنع الآلة البخارية ـ والخطأ في تشخيص النقص يجعلنا نزيد في شحنات الإخلاص فينفجر . . . أما زيادة العلم فلا خطر منها . . لأن العلم بتقدمه سينطبق مع الإيمان .

ـ وقد عبر ابن تيمية عن هذه القاعدة بمصطلحات : القدرة والإرادة . . فقال إذا توفرت الإرادة الجازمة مع القدرة التامة . . تحقق المراد .

والإرادة الجازمة ليست مجرد (همَّ بالأمر) . . والقدرة التامة : فكرية ومادية .

* * *

في القرآن نوعان آخران من التعامل مع الناس غير : العدل والإحسان .

الأول : الموالاة أو الولاء

وهي علاقة حب وإيثار وانحياز وتناصر وتعاضد : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ ولا يجوز أن تكون هذه العلاقة إلا مع المؤمنين وقد وردت آيات كثيرة تنهى المؤمنين عن موالاة الكافرين ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ . . . ﴾ [الممتحنة : ١] .

مثال : في مشروع تربوي قائم على بناء جيل على الإيمان بالله والخلق الحسن . . لا يجوز أن أدخل فيه كافراً يشتغل معي بتوجيه الناشئين . . ولا أضع أولادي في مدارس التبشير أو التي أسست على الإلحاد . . وهو أمر غير الإطلاع على أحدث المناهج والاستفادة منها فالمناهج وسائل تؤخذ وتصبغ بالإيمان إن كانت صحيحة وعلمية . .

ـ والموالاة غير البر والإحسان . . لأن البر مأمور به مع الجميع إلا ما نصت عليه الآية (الممتحنة : ٩) ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ . . . ﴾ [الممتحنة : ٨ ـ ٩] .

ـ فالولاء مع المؤمنين فقط . . لأنه يتضمن الاستعانة والتخطيط المشترك للخير .

النوع الثاني هو : القتال

وهو حالة خاصة من التعامل مع الظالمين فقط . . والذين لم تفلح معهم الأساليب الأخرى لردهم عن الظلم . . وهو موضوع كثر فيه اللغط والالتباس

وأدرج تحت مفهوم **الجهاد** الذي أمر به القرآن . ولا بد من الوقوف عند أهم النقاط والشروط فيه ابتداء من معنى المصطلح .

- **الجهاد** : هو بذل الجهد في سبيل الخير. . ومنه جهاد النفس والهوى . ويمكن أن يكون بالعمل والتعاون . مثل : إماطة الأذى عن الطريق والإصلاح بين اثنين. . ومساعدة من يحتاج المعونة. . ومن ذلك ما تقوم به المرأة في بيتها من رعاية وتربية لأولادها وسعي حثيث لحماية نفوسهم وأجسادهم وحسن توجيه الأسرة وإدارتها. . وفرع من الجهاد : القتال . وهو ما ينبغي أن نفهمه مع المعاصرة .

القتال في القرآن

- شرطه الأساسي : في سبيل الله . أي أن تكون النية فيه خالصة لله .

- وغايته : منع الظلم وليس منع الكفر. . بدليل ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وزيادة في الشرح أقول :

١- نهى الله عن إكراه أحد على دينه وسمى ذلك فتنة وأمر المسلمين بالقتال لإنهاء (الفتنة) فهي ظلم بحق الإنسان ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ١٩٣] بحيث يتحقق اللا إكراه .

الفتنة : هي تعذيب الإنسان لإكراهه على ترك دينه . (من فتنة الذهب : تعريضه لنار شديدة لتحريره من الشوائب) . ومتى يكون الدين لله ؟ - إذا رُفِعَ الإكراه والتزم الناس بـ« لا إكراه في الدين » .

٢- لأن الإيمان في القلب ولا يصل الإكراه إلى القلب وإن أذعنت الجوارح واللسان . والإكراه يولد طبقة من المنافقين المتربصين وهم أخطر على الأمة من الكافرين .

- متى يسمح بالقتال لمنع الظلم ؟ وهل كل من رأى ظلماً عليه أن يقاتل لمنعه ؟!

ـ القتال مُوجَّه إلى مجتمع يحكمه حاكم انتخبه الناس دون إكراه . . أي إلى مجتمع راشد اختار حاكمه بالرشد . . والحاكم فيه هو الذي يأمر بالقتال .

ـ فما هو واجب الفرد إن رأى ظلماً ؟ ينكره بقلبه ولسانه ويساعد المظلوم على تحصيل حقه بالقانون .

ـ كيف بدأ الأمر بالقتال في الإسلام ؟

ـ في مكة كان ممنوعاً ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ . وتحمل المسلمون العذاب في مكة وصبروا ولم يردوا على الأذى بالمثل . إلا حادثة واحدة : حين ضرب سعد بن أبي وقاص أحد المشركين فشجه . وهو مستوى عالٍ من الانضباط : أن تفلت من الالتزام حادثة واحدة .

ـ بعد الهجرة إلى المدينة نزلت : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ [الحج : ٣٩] .

إذن حين يكون قانون المجتمع سيئاً ودينه خاطئاً . . فإنه لا يجوز رفع السلاح للإصلاح . . وإنما يتم التغيير بالدعوة إلى الحق والإقناع بالخير والصبر على الأذى . . والتغيير السلمي منعاً للحروب الأهلية التي تعتبر من أسوأ السرطانات التي تقضي على الأمة . وقد تصدى كل الأنبياء لتغيير الدين والقانون الجائر عند أممهم دون أن يقاتلوا . بل صبروا على الأذى فمنهم من حقق التغيير ، ومنهم من أهلك الله قومه .

ـ فوائد الالتزام بكف اليد : كثيرة . . منها :

١ـ لرفع الإكراه عند الإيمان . أي عزل القوة عن الفكرة حتى تنتشر الفكرة الأصح . .

٢ـ تحصين الداعي من أن يتهم بالإرهاب أو السعي لقلب النظام أو الطمع في المنصب .

٣ـ تحقيق التحرر من عبادة القوة والتدريب على التمرد السلمي ضد القوي الظالم.. وإلا فأي امتياز للمؤمنين إذا كان الطرفان يحتكمان للقوة.. ؟! ولا بد من إسقاط صنم القوة أمام الحق والكف عن حمل السلاح ولو من طرف واحد.. وإلا كان صراعاً الغلبة فيه للأكثر قوة وسلاحاً . (تحرير من الاستضعاف) .

٤ـ أن يذوق المؤمن مرارة الظلم فلا يظلم الآخرين عندما يُمكَّن منهم . (تحصين ضد الاستكبار) .

٥ـ تخفيف عدد الضحايا وحقن الدماء ومنع الأحقاد .

٦ـ كسب تعاطف الجماهير حين يرون المؤمن يُؤذَىٰ بدون ذنب . ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج : ٨] .

٧ـ وضع كوابح قوية ضد الحروب الأهلية التي تمزق الأمم .

٨ ـ تمحيصاً للمؤمنين وحتى لا نفتح مجالاً لانتشار النفاق والمنافقين .

ـ ثلاث مراحل يمر بها المجتمع :

١ـ مرحلة ما قبل المجتمع المسلم .

٢ـ مرحلة المجتمع المسلم .

٣ـ مرحلة الفتن .

أما مرحلة المجتمع المسلم الراشد فالحاكم منتخب يحكم بما أنزل الله ويقيم الحدود ويستنفر الناس للجهاد (أي القتال) إن اقتضى الأمر وعليهم الطاعة . أما المرحلتان : ما قبل المجتمع ـ ومرحلة الفتن (حيث يكون المجتمع فيها مسلم منحرف عن الإسلام لا يحكم فيه بشرع الله)... فواجب المسلم فيهما : قول الحق والصبر على الأذى وكف اليد ﴿لا تطعه واسجد واقترب﴾ لم تقل الآية (اقتله) ولكن لا تطعه وتقرب إلى الله .

ـ **أحاديث تدل على ذلك** : أحد الصحابة يسأل عن الفتن فينصحه النبي أن يلزم بيته ولا يشارك الغوغاء . فيقول الرجل : أرأيت إن دخل عليَّ بيتي وبسط يده ليقتلني ؟ قال ﷺ : « كن كخير ابني آدم » وتلا الآية[1] . وفي وصية أخرى : اكسروا سيوفكم (بما معناه) أي أتلف سلاحك حتى لا تلجأ إليه . (نزع السلاح ولو من طرف واحد) .

ـ أما قتال العدو الخارجي فالحاكم في المجتمع الراشد هو الذي يستنفر له وليس الفرد .

ـ **نتيجة** : لا يجوز الخروج بالسلاح على الحاكم ولو كان ظالماً . . لأن التصحيح إن تم بالقوة فسيأتي من هو أقوى ويفرض رأيه (الثورة الفرنسية والروسية و . . .) ـ ولن يتغير الواقع حتى يتغير الإنسان ويدخل في التوحيد . . أي الخضوع لله الحق وليس للقوة .

ـ وعلى الحاكم أن يقاتل الفئة الباغية ولو كانت مسلمة إن أصرت على الظلم والعدوان . وقد حدث في تاريخنا أن الذين خرجوا بالسيف على الحاكم ـ بسبب الاختلاف في الرأي ـ سمو الخوارج وأبيح قتالهم .

ـ كيف نوفق بين هذا الكلام وبين الحديث « من قتل دون ماله فهو شهيد و . . » ؟!

حين تقاتل لصاً أو مجرماً يعتدي عليك فالقانون إلى جانبك . . وهو أمر مختلف عن قتال رجال الحاكم الذين يقبضون عليك ويحجزون مالك لمعارضتك إياه . وعلينا أن ندرك موضع كل أمر . فقد قال ﷺ أيضاً « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه

---

(١) سنن أبي داود ـ ٤٠٩١ .
ولمزيد من الفهم يراجع تفسير الآية ٧٧ من سورة النساء في كتابي في هدي سورة النساء .

فقتله »[1] . . ونحن نعتبر من فعل هذا أنه متهور قد ألقى بنفسه إلى التهلكة وترك الظالم يذبحه (كالخروف) . !! ! (تأمل موقف مؤمن آل فرعون وسورة يس) .

ـ أعود لأقول : كيف تطور موضوع القتال في القرآن ؟ (وذلك بعد تكوين المجتمع الراشد) .

١ـ بدأ بالإذن به ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ [الحج : ٣٩] .

٢ـ ثم أمر بقتال الذين يقاتلون المسلمين ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

٣ـ وأمر بالاستعداد له ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٤ـ وأمر بقبول السلم إن طلبه الآخر ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال : ٦١] وأمر بالوفاء بالعهود والاتفاقات مع العدو .

٥ـ فإن خاف من العدو غدراً ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] ولهذا جاءت سورة ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ عندما ظهرت منهم بوادر الخيانة .

٦ـ ولهذا انتقل الأمر إلى قتال كل المشركين لغدرهم المستمر ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ .

٧ـ واستثنى حالتين :

١ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾ .

٢ـ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ .

---

(١) قال الحاكم صحيح الإسناد وكذا صححه السيوطي والألباني .

٨ ـ وأما آخر حكم في موضوع القتال فهو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ فهي نظرة مستقبلية يعرضها القرآن على أتباعه ليعرفوا أن السلم هو الهدف النهائي في التواصل الإنساني عندما ينكشف للناس أن الحرب لا رابح فيها . . وحتى المنتصر يكون خاسراً . .

ـ زيادة شرح لبعض النقاط :

١ـ سمح بالقتال عند توفر شرطين : في المقاتِل (حاكم راشد منتخب بنزاهة) والمقاتَل : يمارس الإكراه والعدوان .

٢ـ آداب القتال في الإسلام :

١ـ عدم قتل المدنيين والنساء والأطفال .

٢ـ عدم إتلاف البيئة . (وهذان الشرطان مفقودان في الحروب المعاصرة) .

٣ـ عرض خيارات أخرى على العدو (الكف عن الظلم مثلاً) .

٣ـ موضوع الاستعداد ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ . . فما هي القوة الآن ؟!

وهل هناك من يجهز (رباط الخيل) للحرب الآن ؟! لا بد من الخروج من الحرفية في الفهم . .

ـ القوة الآن هي العلم في الآفاق والأنفس . . والذي يملك العلم يخطط ويسيطر على مصير الجاهل بدون قتال . . إنه يسخر الجاهل لتحقيق مصالحه العاجلة (إذ أنه لا يهتم بالبعيدة المدى) .

مثال : يأخذون المواد الأولية من بلادنا بأرخص الأسعار ويبيعوننا إياها مصنعة بأغلى الأسعار . . نحن نستورد منهم كل شيء . . واسوأ ما نستورد الأسلحة لنقتتل بها فيما بيننا . .

ـ بعضهم يقول : يجب أن نصنع السلاح الذري حتى نرهب أعداءنا . . ؟!

١ـ هذا السلاح مكلف جداً وعلى حساب التعليم والخدمات الصحية . .

٢ـ هو محرم في ديننا لأنه يقتل الأبرياء ويدمر البيئة وينتشر أذاه إلى كل مكان .

٣ـ إن لم نستعمله ـ وذلك أن الاتفاقات الدولية تحرم استخدامه ـ نكون قد أهدرنا المال والطاقة . .

٤ـ الفتوحات الإسلامية كانت في البداية لإزاحة العوائق أمام الدعوة والقضاء على الظلم . . لكنها تحولت فيما بعد إلى حروب للمغانم .

٥ـ المرحلة الأخيرة : الدخول في السلم كافة . . وقد بدأنا نحس بوادرها . فقد تطورت الأسلحة واستفحل أذاها مما أرغم الناس على اتخاذ أساليب أخرى لحل النزاع والصراع . . وأصبحنا نؤمن أن الصراع لا يحل المشاكل وبدأنا نتعلم (فن إدارة الصراع) مطاع بركات و(البديل الثالث) ستيفن كوفي .

٦ـ الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى . . هو تحرير المستضعف من مرضه وتحريك النفس وتدريبها على الفعالية ـ وقبل كل شيء : أن ندخل في تعلم آيات الله في الآفاق والأنفس . . حتى نتحرر من سيطرة الخبثاء الذين يزرعون الفتن والنزاعات بيننا . . إننا مشغولون عن العلم والنهضة بقتال بعضنا . . ونشتري منهم الأسلحة ـ التي لم يعد لها دور عندهم إلا أن يبيعونا إياها ـ فماذا يريدون أكثر من ذلك ؟!

ـ « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم »[1] ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [يس : ٦٠] . . حتى التثاؤب أُمر المؤمن أن يكظمه حتى لا يفرح الشيطان برؤية كسله وعطالته .

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ـ رقم ١٨٠٤ .

٧ـ تحدث ابن كثير في تاريخه أن المسلمين قد وقعوا في ثلاثة ذنوب : طائفة منهم مارست الظلم والمنكر فكان هذا من ذنوبهم . . وطائفة ثانية سكتت ولم تقم بدورها في معارضة المنكر فكان هذا من ذنوبهم . . وثالثة قد أنكرت بأسلوب منهي عنه وهو الخروج بالسلاح في وجه الظلم . . فكان هذا من ذنوبهم .

ـ ولا بد أن ندرك أن منع الإنكار بالسلاح لا يعني السكوت . . وهي إشكالية كبيرة وقعنا بها . . إذ عطلنا الجهر بالحق ولم ننتبه إلى أنه جزء هام من البيعة مع رسول الله ﷺ (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره . . وأن نقول الحق لا نخشى في الله لومة لائم)[1] . واستقر في أعماقنا أن لا نتكلم إلا إذا ملكنا قوة مادية .

٨ ـ المرأة يجب أن تفهم هذا الموضوع بشكل جيد لأنها هي التي تصنع الرجال . . وتذكروا فاطمة بنت الخطاب وكيف أثرت شجاعتها في أخيها عمر . . وتذكروا مواقف صحابيات كثيرات . . .

وأخيراً أقول لن ندرك أبعاد هذا الموضوع حتى نكشف الأجوبة الصحيحة للأسئلة الأربعة التالية :

١ـ لماذا القتال ؟

٢ـ من يحق له أن يقاتِل ؟ ومن يقاتَل ؟

٣ـ متى القتال ؟

٤ـ كيف يكون القتال في الإسلام ؟

(للمزيد من الفهم يراجع كتابي في تفسير سورة التوبة ـ وسورة النساء عند آيات القتال) .

---

(١) رواه الإمام أحمد على لسان النبي « تبايعوني على السمع والطاعة . . وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم » .

الاستكبار والاستضعاف

مثال : آية تذكر هذا الأمر : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٣١ـ٣٣] .

نستنتج من الآيات :

ـ المشهد من يوم الحساب : الظالمون بين يدي الله .

ـ صنفان من الظالمين يتجادلان : مستضعفون ومستكبرون .

ـ المستضعفون يُحَمِّلون المستكبرين مسؤولية ضلالهم . حيث ينقلب الولاء إلى إدانة .

ـ المستكبرون يدافعون عن أنفسهم : لماذا تبعتمونا ؟! ويستمر الجدل بين الطرفين .

ـ كيف يختم المشهد ؟ الأغلال في أعناق الطرفين ويحكم عليهما بالكفر (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) .

النتيجة : المستكبرون والمستضعفون كفار ومن أهل النار .

ـ تحليل وتعريف :

ـ من هو المستكبر ؟!

هو إنسان مصاب بورم الذات فهو ينفي وجود الآخرين. . ولديه خلل في العلاقة مع الله ومع الناس مثال : فرعون « أنا ربكم الأعلى ». . « ما أريكم إلا ما أرى ». . مثال : الخمسة الكبار في مجلس الأمن والفيتو .

ـ من هو المستضعف ؟!

هو إنسان مصاب بنفي الذات والخضوع للأقوياء . ولديه خلل في العلاقة مع الله ومع الناس .

مثال : كل من يقول : (أنا عبد مأمور). . قوم فرعون : « فاستخف قوه فأطاعوه ». . الساكتون على المنكرات .

ـ المرض عند الطرفين :

عبادة القوة. . لهذا ينقلب المستضعف مستكبراً إن ملك القوة . وينتج عن ذلك ازدواج في الشخصية (إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب) . فإن ملك القوة استكبر وإن فقدها خضع لمالكها . هذان لا يؤمنان بحالة ثالثة : السواء النفسي وعبادة الله وحده .

ـ هذا الموضوع خطير لأنه يمثل مشكلة العالم قديماً وحديثاً . (في الأسرة ـ في المدرسة ـ في المجتمع ـ في العالم : الفيتو) .

ـ مصطلحات هذا المرض في القرآن :

السادة والعبيد ـ المتبوعون والأتباع ـ الملأ من القوم والأراذل . وعند مالك بن بني : الاستعمار والقابلية للاستعمار .

أمثلة على الذين تحرروا من الاستضعاف : اليابان وألمانيا انهزمتا ولكن لم تستعمرا. .

التشابه بين النفاق والاستضعاف :

١ـ اختلاف السر عن العلانية . المنافق يظهر الإيمان ويضمر الكفر ـ المستضعف يمدح سيده وربما يلعنه في سره .

٢ـ سلوكهما في الدنيا متشابه . . فهما مع صاحب القوة يأتمران بأمره .

٣ـ الدوافع متشابهة . . كلاهما يخاف على نفسه من صاحب القوة ويظن أن مصيره بيده .

٤ـ مصيرهما في الآخرة إلى النار . ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] والفرق الوحيد : ربما قلب المستضعف يتمنى لو يقدر على الخير خلافاً للمنافق .

ـ المستضعف نوعان :

١ـ كافر يلغي ذاته ويخضع للقوة . . (ويطلق عليه رجل العصا لأنه مجرد أداة) وهو (العبد المأمور) الذي يقول : حاضر سيدي لكل أمر يصدره رئيسه . (مثال : السجّان) .

٢ـ مؤمن : لا يطيع المستكبر وليست له قوة تحميه بل يصبر على العذاب ولا يتراجع عن دينه (مثل : بلال) وهو (رجل الفكرة) لا يطيع إلا ما ينسجم مع أمر الله . . هؤلاء موعودون بوارثة الأرض . ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] .

ـ كيف عالج القرآن هذا المرض

ـ وضع المؤمن بين نهيين :

١ـ نهي عن الاستكبار : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

٢ـ نهي عن الاستضعاف : ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [يس : ٦٠] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

ـ تصحيح العلاقة مع الله هي العلاج (العبادة) ثم مع الناس (العدل والإحسان) لأن جوهر المشكلة : تحرير النفس من عبادة القوة .

ـ من أين نبدأ في العلاج ؟

المستكبر لن يسمع لأحد طالما أنه يملك النفوذ والقوة فهو مغتربها . . ويصل إلى كل أهدافه بالقوة وإكراه الناس . . ولا بد من إبطال سلطان القوة . لهذا فإن تحرير المستضعف من الخضوع للقوة هو المفتاح « **كلا لا تطعه واسجد واقترب** » . . كان بلال نموذجاً للعبد الذي تحرر من الاستضعاف وشق طريق الحرية أمام الضعفاء . .

ـ قد نستهين بعلاج الاستضعاف ونعمل على زوال المستكبر . . لكن التاريخ يخبرنا أن لا فائدة من زوال الطاغية إن لم يتحرر العبيد من استضعافهم . . لأنهم إن وصلوا إلى أي مركز سيمارسون الاستكبار على الناس . لهذا رد موسى على قومه حين اشتكوا من استمرار ظلم فرعون : ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٩] .

ـ خلاصة البحث : أن القرآن يشخص القضية في مراحل ثلاث :

١ـ المستضعف هو السبب الرئيسي في وجود المستكبر . . ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ .

٢ـ العلاج هو التوحيد ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ وإن عذبك المستكبر ونكل بك . . فإنه هو الطريق الوحيد للخلاص .

٣ـ عندها يتحرر المستضعف ولا يجد المستكبر من يطيعه.. وتتعطل قوانينه.. مما يؤدي إلى زوال المستكبر والوصول إلى وعد الله للمستضعفين بوارثة الأرض وجعلهم أئمة. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥].

ـ **من الضروري التميز بين الاستكبار وعزة المؤمن** (مثال : أبو دجانة يختال بين الصفوف). بينما الكبر (بطر الحق وغمط الناس).. (ومثاله : جبلة بن الأيهم حين لطم رجلاً من عامة الناس..).

ـ التميز بين الاستضعاف والعفو والتواضع ـ فالمؤمن هين لين. والعفو لا يكون إلا عند القدرة (مثل عفو النبي عن أهل مكة عندما فتحها). أما سكوتك لأنك عاجز عن الرد فهو ذل وليس صبراً ولا عفوا. (الجهر بالحق في كل حال).

ـ وترك الاستضعاف لا يعني أن تكون فظاً غليظ القلب : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه »[1].

ـ أكرر : التوحيد نصفان : نفي وإثبات : لا إله.. إلا الله. « لا تطعه.. واسجد واقترب » ومن عجز أن يقول للخطأ : لا.. لم يتذوق حلاوة التوحيد. (بلال الضعيف كان يردد تحت التعذيب : أحد أحد..).

ـ الانتباه في تربية الجيل : أن يصاغ بشكل سليم.. فلا يضطهد ويحرم من حاجاته الطبيعية.. ولا تُلَبَّى كل طلباته.. فالقسوة تنتج مستضعفاً والدلال ينتج مستكبراً.. مما يشعرنا بضرورة إنشاء جيل من الأمهات الواعيات اللواتي تزودن بالعلم الكافي لإنشاء جيل يتمتع بالصحة النفسية والاقتدار على التغيير الإيجابي.

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٧٨٤.

النقد الموضوعي (التغذية الراجعة)

الرسول ﷺ يقول : (الدين النصيحة) فلماذا ننزعج من النصيحة ؟!

العيب إما في الناصح لأنه لم يلتزم الأدب في النقد . . أو في المنصوح لأنه مصاب بالاستكبار والجهل بأهمية النقد .

ـ النقد الموضوعي منهج قرآني . . لأن الفشل دليل على وجود خلل فلا بد من الكشف والتصحيح .

ـ **معنى التوبة** : العودة عن الخطأ . ومن لا يعترف بخطئه لا يقدر على التوبة . وفي القرآن سورة طويلة تحمل اسم التوبة . . وهي أرقى عملية في الحياة الإنسانية لأنها صعود دائم للأفضل . .

ـ **نماذج من نقد القرآن للمسلمين** :

ـ في غزوة أحد : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] . . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

ـ في غزوة حنين : ﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ [التوبة : ٢٥] .

ـ في قصة الإفك : ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ [النور : ١٥] .

ـ في الخروج إلى تبوك : ﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [التوبة : ٣٨] .

ـ في معركة الحياة : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢ـ٣] .

ـ في الوقوع في الغفلة : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] .

ـ في تفضيل التجارة على الجمعة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة : ١١] .

ـ بل إن القرآن عاتب رسول الله ﷺ :

ـ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ . . . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ؟ ! ﴾ [عبس : ١ـ١٠] .

ـ وفي قصة زواجه من زينب ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

ـ وفي الإذن للمنافقين في التخلف . . ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ [التوبة : ٤٣] .

ـ وفي قبول الفداء من أسرى بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

ـ وفي تبرئة السارق : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٦ـ١٠٧] .

ـ وفي تحريم العسل على نفسه : ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ [التحريم : ١] .

ـ ما الفائدة من عرض هذا الموضوع ؟

ـ المسلمون يظنون أن نقد أخطائهم فضيحة تفيد أعداء الإسلام . . وأن ذلك يحطم معنوياتهم . . بينما قال أحد الرؤساء : (النقد الذاتي خبزنا اليومي) ـ والقصد نقد الذات وليس ترك الموضوعية ـ

ـ ولا يمكن تصحيح الأعمال إلا بوجود نقد وتقويم (مثال : أداء المعلم) .

وفي علوم التنمية البشرية يسمونه (فيد باك : تغذيه راجعة) .

ـ وفي ذلك تصحيح للعلاقة السيئة مع السلف : التحرر من موقفين : طاهر مقدس ـ دنس حقير . .

ـ وهو ما يؤكد توحيد الله لأنه وحده المقدس المنزه عن الخطأ (القدوس) وكل الناس يخطئون . .

ـ وفي ذلك تمييز للإسلام عن المسلمين . . فلا يحكم على الإسلام بناء على أخطاء المسلمين .

ـ ويحرر المسلم من الجمود الفكري (الآبائية) وإيقاف الاجتهاد . . إذ أن بعض المسلمين يقولون : (إن الصحابة هم خير الناس ولم يتعلموا العلوم الإنسانية ولسنا بحاجة إلى علوم الكفار ؟!) فلماذا نأخذ من الكفار التكنولوجيا والمخترعات . . ؟! !

إن الصحابة والسلف الصالح استعملوا أساليب عصرهم وترجموا علوم الأمم من حولهم وأخذوا النافع منها . . ولو عاشوا في عصرنا لأخذوا عن الآخرين . . وترجموا . . وتفوقوا . .

ـ كذلك فإن الآيات تصحح العلاقة مع النبي ﷺ . . والآيات لا تحط من قدره ﷺ ولكن :

١ـ لا يكون النبي ﷺ قدوة إلا إن كان بشراً مثلنا وليس كاملاً (منزهاً) . وهو نبي وليس إلهاً منزهاً .

٢ـ منهج القرآن : الاهتمام بالتصحيح أكثر من الاهتمام بالأشخاص . . وهو يحصِّن الإنسان ضد التشخيص . .

٣- إنه ينقد النبي ﷺ ليرفع ويرقي سلوكه أكثر (أدبني ربي فأحسن تأديبي) .

٤- ننتبه إلى أن أقوال النبي ﷺ وأعماله نوعان : نوع يعتبر وحياً يطاع فيه . . ونوع يعتبر اجتهاداً من النبي ﷺ . . مثل : المنزل يوم بدر . . و(أنتم أعلم بأمور دنياكم) . .

والصحابة تعلموا أن يميزوا بين النوعين : (مثل قوله ﷺ « لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة »)[1] . . مثال معاصر : لو أن أحداً من العالم الغربي سأل داعية للإسلام عن الزنى فهل يقول له كما قال النبي ﷺ : (أترضاه لأختك . . لابنتك . .) إنهم يرضون به ويعتبرونه حرية شخصية . .

- السواء النفسي : أن تتقبل ذاتك على أنك بشر تخطيء . . تَقَبلُ النقد وتصحح وتتوب . .

- أما رعبنا على الإسلام إن وجِّه نقد لبعض أعمال الصحابة فهو نتيجة لما أصبنا به من مرض التجسيد - أو التشخيص - وهو خلط الفكرة بالشخص . وقد تصدى القرآن لعلاج هذا المرض في وقت مبكر إذ قال ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] وحذر منه أبو بكر رضي الله عنه يوم وفاة النبي ﷺ حين قال : (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . . ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) .

* * *

---

(١) عن عبد الله بن عمر نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب أن « لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة » فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة . وقال آخرون لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ وإن فاتنا الوقت ، قال فما عنف واحداً من الفريقين . (مختصر مسلم للمنذري رقم ١١٧٥) .

أدب النقد والحوار

فإن كان النقد ضرورياً فإن الالتزام بآدابه هام جداً. . ومن خلال تتبع آيات القرآن وصلت إلى خطوط عريضة كأنها ترسم حدوداً للنقد والحوار :

١ـ إعطاء الأولوية لطالب الحق. . ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۞ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۞ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۞ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس : ٥ـ ١٠] .

٢ـ لا تسب الآخر وتحقر رأيه. . ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

٣ـ تأكيد النزاهة : ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [هود : ٥١] ـ إذ أن تاريخ حياة الداعي يعتبر رأسمال محترم .

٤ـ التواضع وترك الإدعاءات : ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

٥ـ تعالوا إلى كلمة السواء (لكم مثل مالنا) ﴿ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

٦ـ ترك الآخر يبدأ بعرض أفكاره : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [يونس : ٨٠] .

وهذا يتفق مع العادة الخامسة عند ستيفن كوفي : استمع وافهم حتى يفهمك الآخر . وإنك حين تسمع للآخر أولاً تعرف منطلقاته وكيف يفهم الأمور مما يساعدك على تقديم العرض المناسب لفكرتك ـ كما أنه يشعر أنك أنصفته فيرتاح .

هل تدربنا على حسن الاستماع ؟

أنواع الاستماع :

١ـ التظاهر بالاستماع . . كأن تكون مشغولاً بشيء ولكن تسكت وتهز برأسك وكأنك تتابع المتحدث . . لكنه سيشعر بالإهمال وينقطع التواصل .

٢ـ الاستماع بتربص للرد على المتحدث . . كأن تسجل بعض النقاط على ورقة . . أو تقاطعه .

٣ـ الاستماع التعاطفي : وفيه تقوم بتصفية ذهنك من كل عداء . . تتوجه إلى المتكلم بصدق وتنظر في عينيه . . وقد توجه له بعض الأسئلة لتفهم أكثر . .

ويمكن أن توجه له بعض العبارات التي تشعره بالتقدير . . مثل : لا شك أنك حزين . . أقدر موقفك . . عندك حق في بعض ما ذكرت . .

٧ـ أسلوب عرض الموضوع :

١ـ ناقش فيما رأيته من أخطاء (كن واقعياً) . ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة : ١٨] .

٢ـ قدم شهادة التاريخ : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ [الأنعام : ١١] .

٣ـ نتحاكم إلى العواقب : ﴿ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ * وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [هود : ١٢١ـ١٢٢] .

٤ـ الترغيب والترهيب : ﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٤١] .

٥ـ اختيار الألفاظ التي توحي باحترام المحاور وتفضيله على النفس : ﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] .

٨ ـ أعلن إيمانك وليختاروا ما يشاؤون ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ كن نموذجاً عملياً لـ : « لا إكراه في الدين » . . .

٩ـ اعتزل الصراع ولو من طرف واحد ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ [المائدة : ٢٨] .

١٠ـ ادفع بالتي هي أحسن : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٥٣] . واحذر من الاستفزاز لأنه أسلوب شيطاني . . وتجنب تصيُّد الأخطاء لأنه يقطع التواصل .

ـ وفي كل ذلك لتكن محباً مشفقاً وليس عدواً حاقداً . . ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس : ٢٦ـ٢٧] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

أمثلة : الحوار مع صاحب الجنتين في سورة الكهف .

الحوار بين مؤمن آل فرعون وفرعون وملئه (سورة غافر) .

حوار مؤمن آل ياسين مع قومه . . وكيف وضع نفسه موضع النقد ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ حوار النبي ﷺ مع عتبة (أبو الوليد) وسماع النبي له[١] حوار جعفر بن أبي طالب مع نجاشي الحبشة .

ولك أن تلاحظ أن القرآن يتبنى الحوار ويدعو إليه . . تأمل : « قل . . . قال . . قلنا . . قالوا . . » فافتح النوافذ والجسور مع الآخر .

* * *

(١) كتابي من هذي السيرة صفحة ٥٧ .

الحكم والحكمة

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

آيات الله تتضمن : الأحكام . . وأحياناً تلحق الأحكام ببيان الحكمة منها .

من الأحكام : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

وهذه آية تتضمن الحكم والحكمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور : ٢٧] .

ـ هل من المهم أن نعرف الحكمة ؟ أليست الطاعة لأمر الله مطلوبة سواء أفهمنا أم لم نفهم الحكمة ؟

ـ فوائد فهم الحكمة :

١ـ رفع الله منزلة من أوتي الحكمة . . ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

٢ـ تصبح الطاعة لحكم الله أقوى والإيمان في النفس أرسخ . . لأن من طبع الإنسان ألا يؤمن بمبدأ إلا إذا عرف أنه الأنفع . . على الأقل : نسبة كبيرة من الأوامر . . وعندها يمكن أن يسلم في الباقي . .

٣ـ تتحقق السعادة للمؤمن مع تطبيق الحكم ويصبح هواه تبعاً لما أمر به ربه ويكره أن يعود إلى الكفر .

٤ـ فهم الحكمة يعطي القدرة على الاجتهاد فيما استجد من أمور ولا نص فيها (مثال : التدخين) .

٥ـ فهم الحكمة يعطيك المرونة فتتحرر من الحرفية والجمود . وقد وصف الله عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ [الفرقان : ٧٣] . مثال : اجتهادات عمر رضي الله عنه . . . منها : إيقاف تقسيم الأراضي المفتوحة على الجيش وإيقاف تطبيق حد السرقة في عام المجاعة .

من فهم الحكمة تصبح لديه قدرة على وضع الأمور في مواضعها .

ـ الناس في هذا الموضوع **أربعة أصناف** :

١ـ من عرف الحكم ولم يعرف الحكمة . . مثل كثير من المسلمين الآن .

٢ـ من لم يعرف الحكم ولا الحكمة . . مثل الجهلة والبدائيون . . .

٣ـ من عرف الحكمة ولم يعرف الحكم . . مثل الغربيين الذين يؤمنون بحرية الفكر ـ ويلتزمون بالنظافة ودقة الموعد .

٤ـ من عرف الحكم والحكمة . مثل العلماء من المسلمين المجتهدين قديماً وحديثاً .

هذا الموضوع يقود إلى دراسة المقاصد في القرآن . . وهو البحث الذي وسعته في كتابي (مقاصد القرآن) .

❊ ❊ ❊

المقاصد في القرآن

كيف نعرف المقاصد في القرآن ؟

كل آية يأتي فيها (يريد الله) أو (لعلكم) أو (ذلك لـ) أو(كي لا) أو (لـ . .) فهي تبين العلل والحِكَم والمقاصد .

أمثلة :

- ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

- ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر : ٧] .

- ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ﴾ [التوبة : ١١٨] ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص : ٢٩] .

- وقد يُفهم من سياق الآية : مثل : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] . . « هذا هدى . . . » .

- اهتم بعض علمائنا في الماضي بهذا الموضوع مثل : الإمام مالك . . والشاطبي . .

- واليوم يبدو **علم المقاصد ضرورياً جداً** :

١- تطبيقاً لأمر الله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء : ٨٢] .

٢- لتحصيل القدرة على الاجتهاد فيما جد من أمور . . . (مثل : زراعة الأعضاء - السلاح الذري . . .) .

٣ـ التحرر من سيل الفتاوى التي تشل فعالية المسلم . (مثل : إبقاء المرأة في البيت درءاً للمفاسد بزعمهم . . .) .

٤ـ ليعيش المسلم عصره دون أن يفقد هويته أو يشعر بالازدواجية . . (مثل ظن المسلم أن الديموقراطية ضد الدين . . وأن الحكومة المدنية كفر) .

٥ـ تحقيق التقارب في الفهم سعياً إلى التوحيد والتلاحم في الأمة . . وامتلاك القدرة على (حوار الأديان) .

٦ـ والخروج من العصبية إلى العالمية . . (تحقيق التقارب العالمي بإعطاء المرجعية إلى ما هو خير وأبقى) .

ـ والموضوع بدأ يطرح باهتمام في أجوائنا الفكرية بعد أن خدمه بعض العلماء المحدثين : مثل الطاهر بن عاشور ـ وعلال الفاسي . . وما زال بحاجة إلى زخم أكبر . .

ـ في كتابي (مقاصد القرآن) تتبعث الأمر من خلال آيات القرآن واعتمدت مقدار تعداد المقصد في القرآن كمقياس لأهميته . . فكانت النتيجة أن تفعيل العقل هو المقصد الأول إذ أكدت الآيات على أعمال العقل ثلاثمائة وستين مرة في القرآن تقريباً .

وقد وجدت في القرآن أربعة أنواع من المقاصد :

١ـ مقاصد خلق الإنسان .

٢ـ مقاصد خلق الكون .

٣ـ مقاصد القدر .

٤ـ مقاصد الدين . وكان الرابع هو القصد من الكتاب حيث وصلت إلى نتيجة : أن مصالح الفرد والأمة لها الأولوية ثم يأتي الارتقاء والتطوير وحفظ الدين .

- والسؤال الآن : ما هي الشروط اللازمة لمعرفة الفتوى في أمورنا المعاصرة ؟ والجواب برأيي :

١ـ العلم بمقاصد الدين .

٢ـ العلم بالواقع المعاش ونتائج الأمور (العواقب) .

- ولهذا نحن بحاجة إلى مجلس إفتاء يجمع بين المتخصصين في كل فروع العلم : أي : آيات القرآن وآيات الآفاق (العلوم المادية) وآيات الأنفس (العلوم الإنسانية) .

* * *

النفس والأمة في القرآن

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله الله ليكون رحمة للعالمين .

نعيش في زمن أصبح فيه توجيه الإنسان وبناء الأمم وصيانتها من أعظم القضايا التي تخصص لها الأبحاث والدراسات . . وهو أمر يستحق أن تبذل فيه الأعمار والأرواح . . فالحياة الإنسانية في الشرق والغرب تعاني من التشوش والاضطراب . . وفي الوقت الذي قدم لنا التقدم المادي خدمات وتسهيلات . . لكنه زاد من معاناتنا لأنه استُخدِمَ في كثير من الأحيان ضد مصلحة الإنسان وسخر لخدمة مصالح الكبار وأعانهم على امتصاص أرزاق الأمم الضعيفة . . واصاب البيئة بالتلوث والفساد . . فهل في ديننا نحن المسلمين ما يشجع على تلك الدراسات الإنسانية . . ؟!

ابتداء يجب أن نلاحظ أن القرآن لم يأت ليكون كتاب فلك أو فيزياء أو كتاباً في علم النفس والاجتماع . . إن القرآن يشير إلى هذه العلوم ويدفعنا لدراستها لأن كشفها وتسخيرها مطلوبان من الإنسان . . وإنما القرآن كتاب هداية للدين الأمثل ولنظام الحياة الأفضل . . إنه يعطي المعنى لحياة الإنسان ودوره على الأرض . . وفيه يحدثنا الله عن قوانين في الكون وفي الحياة ويعدنا باستمرار انكشافها . . ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] إن انكشاف هذه الآيات سيزيدنا يقيناً بآيات الكتاب وسيقدم البرهان على أنه الحق .

وفي البداية لا بد من تحديد مصطلح (الآيات) فهي كما فهمت : العلامات والمؤشرات التي توضع على جانبي الطريق لتهدي السالكين . . وترد في القرآن بمعنى (السنن) والسنة : أن يفعل في الآخر ما فعل بالأول . . فهي بمعنى القوانين الناظمة للحياة . .

والحديث عن آيات الآفاق والأنفس مطروح في القرآن الكريم فآيات الآفاق هي العلوم المادية (الفيزياء ـ الكيمياء ـ الفلك . . .) وآيات الأنفس هي العلوم الإنسانية (علم النفس والاجتماع والتطوير الاقتصادي والتربوي . . .) . . . أما آيات الآفاق فقد تحدث عنها كثيرون . . والعلوم المادية تتطور بسرعة . . . وقوانين الكون تتجلى بروعة وتلقى اهتماماً من معظم الناس . . بينما سنن الأنفس ما زالت بحاجة إلى مزيد من الاهتمام . . خاصة وأنها هي التي تقود وتوجه الانتصارات العلمية . . فإما أن تسخرها لرقي الناس وسعادتهم . . وإما أن تسخرها للاستغلال والاستئثار بخيرات الشعوب الضعيفة . . ولهذا فكرت بتتبع الآيات التي تشير إلى قوانين حياة الأنفس . . مع محاولة بدائية لسبر غورها وتصنيفها . . ولعل هذه الخطوة تكون بداية لترسيخ العلوم الإنسانية في العالم الإسلامي . . وظهور المتخصصين والمبدعين فيها .

وقد تتبعت في بحثي هذا الآيات التي تتناول صلاح الفرد والأمة في الدنيا فقط . . أي عواقب الدنيا دون عواقب الآخرة . . لأن المقصد من البحث هو الإمساك بقوانين الحياة الطيبة في الدنيا .

وقد وصل عدد ما أحصيته من سنن في القرآن إلى (١١٧٥) وفيها تكرار لعدد كبير من سنن الأنفس مع ملاحظة أن كل قصص القرآن سيقت للدلالة على سنن الحياة بالدرجة الأولى . . ولا بد أن نتذكر هنا أن عدد آيات القرآن (٦٢٣٦) آية . . وقد تنص الآية على أكثر من سنة واحدة . .

مما يجعلني أقول إن الحديث عن آيات الأنفس يشغل ما يقارب خمس

القرآن.. ومن المعروف أن آيات القرآن تدور حول أربعة محاور : الله ـ الإنسان ـ الكون ـ اليوم الآخر . . .

فهل نضيف (آيات الأنفس) على أنها محور خامس فيه . . ؟

بل أقول : إن آيات الأحكام والمقاصد وآيات الأنفس قد نزلت لتحديد العلاقات بين هذه المحاور الأربعة . . فهي روح الدين وجوهره الثمين . . فلهذا كتبت كتابي (مقاصد القرآن) . . . وعزمت على الاجتهاد في إصدار هذا البحث عن سنن الأنفس . . لوضع لوحات على طريق جديد تشقه أجيال النهضة القادمة . . لوحات تشير إلى معالم ومنعطفات لا بد من الانتباه إليها ومراعاتها كي يُعبَّد الطريق بعد أن تحدد أهدافه ومساراته وتذلل عقباته . . فالطريق إلى الله لا يمكن أن تكون خبط عشواء . . ولا تكفي فيها النوايا المخلصة . . بل لا بد من مراعاة القوانين و(المعادلات الإنسانية) التي أسعفنا الله بها في القرآن الكريم . . وعلى هذا انطلقت في بحثي والله الموفق .

بتاريخ : ٢/ ٢٠١٨م

٦/ ١٤٣٩هـ

* * *

مدخل

سابدأ بالتساؤل : ـ هل للنفس والمجتمع قوانين ؟

ـ وهل العلوم الإنسانية لها قوانين صارمة كالعلوم المادية ؟

حتى الآن يتشكك بعض المسلمين في كل العلوم.. فمنهم من يقول : العلم لا يوثق به لأنه ينفي اليوم ما اثبت بالأمس.. وربما تكمن المشكلة في الخلط بين النظرية والقانون.. فالنظرية افتراض لم تثبت صحته.. بينما القانون يأتي كمرحلة تالية عندما يبرهن على النظرية ويصبح بالإمكان تسخيرها والإفادة منها.. وعندها تصبح القضية علماً.. والعلم ينمو ويتطور لكن لا ينفي اليوم ما اثبت بالأمس.. لقد كشف العلم تركيب الماء من الأوكسجين والهيدروجين بنسب محددة... (مثلاً)... وكشف قوانين كثيرة في الأرض والسماء.. لكنه لم يكشف كل شيء بعد.. وقوانين الله ثابتة في الكون والحياة لكن إدراكنا لها يتغير بحسب التقدم في البحث وكشف ما لم نكن نعلم.. وقد تزداد السنن والقوانين مع التقدم العلمي والنمو في التصنيع والتسخير.. لكنها لا تهدم ما سبقها وقد أخبرنا الله عن ذلك ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ١]... ولا شك بأن التقدم في التسخير قد ابتكر كثيراً من الأساليب الجديدة كتطور وسائل المواصلات وأجهزة التواصل وطرق التعلم.. إلخ.. بحيث تنسخ الأساليب الجديدة ما سبقها لأنها الأفضل.. لكن هذا كله لا يعني أن العلم لا قوانين له ولا يوثق به.. بل هو الذراع الأقوى للإنسان في حياته على الأرض .

وربما تكمن المشكلة في كون العلوم الإنسانية لم تزدهر بعد كما ينبغي..

والأبحاث فيها لم تصل إلى قوانين كثيرة . . لأن الناس ركزوا على العلوم المادية أكثر (آيات الآفاق) . . لكن عدداً من الأمم قد طورت حياتها بتطورها في هذه العلوم . . والدراسات في هذا المحال تتطور وتتقدم . . فكيف نتردد ونتخلف والله يأمرنا بالإقدام ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] .

ولهذا سأبدأ من أمر أكده القرآن . . وهو ثبات سنن الله في الحياة . . من خلال حديثه عن عواقب الأفراد والأمم . . فالعواقب مرتبطة بما يقوم به الناس من أسباب . . إنه القانون الذي اختاره الله لحياة هذا الإنسان على الأرض . . وسأعرض الآيات الواردة في تأكيد هذا الأمر فيما يلي .

في القرآن خمس آيات تنص بشكل صريح على ثبات سنن الله وقوانينه في الحياة . وهي :

- ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٧] .
- ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢] .
- ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر : ٤٣] .
- ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر : ٨٥] .
- ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح : ٢٣] .

كما يرد تأكيد سنن الله في خمسين موضعاً من القرآن الكريم ولكن بعبارات أخرى كأن يقول : وعد الله . . . أو جاء الحق وزهق الباطل . . أو العاقبة للمتقين . . أو : إن ربك لبلمرصاد أي قانون ربك حتمي الوقوع . . وما إلى ذلك ـ وسأسرد فيما يلي أرقام الآيات من السور التي وردت فيها هذه التأكيدات :

الأنعام : الآية ١١٥ ـ الأنفال : ٧ و٨ ـ ٣٨ ـ يونس : ١٩ ـ ٣٣ ـ ٦٤ ـ ٨٢ ـ ٩٦ ـ ١٠٣

إبراهيم : ٤٧ ـ الحجر : ١٣ ـ النحل : ١ ـ الإسراء : ٥ـ ٥٨ـ ٨١ ـ ١٠٤

الكهف : ٥٥ ـ الأنبياء : ٩ـ ١٨ ـ النمل : ٨٥ ـ القصص : ١٣ـ ٦١

الروم : ٦ـ ٦٠ ـ الأحزاب : ٣٨ ـ سبأ : ٥٤ ـ يس : ٧

الصافات : ٣١ـ ١٧١ ـ ص : ٣ـ ٨٨ ـ الزمر : ٧٤ ـ غافر : ٦ـ ٥٥ـ ٧٧

الشورى : ١٤ـ ٢٤ ـ الزخرف : ٨ ـ الأحقاف : ١٨ ـ الذاريات : ٥٩

المجادلة : ٥ـ ٢١ ـ الطلاق : ٣ ـ المرسلات : ٧ـ ١٦ـ ١٧ـ ١٨

الأعلى : ١٨ ـ الفجر : ١٣ـ ١٤

فهل بعد ذلك من شك في حتمية وصرامة قوانين العلوم الإنسانية . . ؟!

وهكذا تتبعت سنن الله في الحياة عبر آيات القرآن الكريم وجمعتها من كل سورة ثم صنفتها إلى مجالات عدة وخصصت لكل مجال فصلاً في هذا البحث ، وكل فصل يتضمن عدة أبواب وفق الترتيب التالي :

الفصل الأول : سنن العلاقة بين عمل الله وعمل العبد وفيه : ١ـ باب الهداية . ٢ـ باب الضلال . ٣ـ باب الخسارة . ٤ـ باب تحول النعم إلى عذاب . ٥ـ باب الفلاح . ٦ـ باب محبة الله ومعيته .

الفصل الثاني : سنن استخلاف الإنسان . وفيه : ١ـ سنن تتعلق بطبائع الإنسان . ٢ـ سنن الصحة النفسية . ٣ـ سنن استخلاف الإنسان .

الفصل الثالث : سنن تتعلق بالمجتمع (تتمة لاستخلاف الإنسان والأمة)

الفصل الرابع : سنن تتعلق بالفرد والمجتمع .

الفصل الخامس : استنتاجات من كل ما سبق .

خاتمة .

وأبدأ بتسجيل الجدول التالي الذي يحصي أعداد ورود السنن في سور القرآن الكريم .

اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد
البقرة	٦٤	القصص	٢٨	القمر	١٥	المطففين	٣
آل عمران	٤٣	العنكبوت	٢٠	الرحمن	١	الانشقاق	٣
النساء	٣٥	الروم	٢٠	الحديد	١٠	البروج	٣
المائدة	٢٨	لقمان	٨	المجادلة	١٠	الطارق	١
الأنعام	٣٣	السجدة	٤	الحشر	١٠	الأعلى	٥
الأعراف	٤٨	الأحزاب	١٧	الممتحنة	٥	الغاشية	٢
الأنفال	٣١	سبأ	١٢	الصف	٨	الفجر	٥
التوبة	٤١	فاطر	١٢	الجمعة	٥	البلد	٢
يونس	٣٢	يس	٦	المنافقون	٤	الشمس	٣
هود	٢٣	الصافات	١٧	التغابن	٥	الليل	٣
يوسف	١٦	ص	٨	الطلاق	٨	الضحى	١
الرعد	٩	الزمر	١٨	التحريم	١	الشرح	٢
إبراهيم	١٤	غافر	٢٠	الملك	٦	التين	٣
الحجر	١٢	فصلت	١٧	القلم	٤	العلق	٣
النحل	٣٠	الشورى	٢٠	الحاقة	٦	البينة	١
الإسراء	٢٥	الزخرف	١٤	المعارج	١	الزلزلة	٢
الكهف	١٨	الدخان	٥	نوح	٣	العاديات	١

اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد	اسم السورة	العدد
مريم	١٣	الجاثية	٨	الجن	١٠	القارعة	١
طه	١٩	الأحقاف	٨	المزمل	٤	التكاثر	١
الأنبياء	٢٨	محمد	١٨	المدثر	٤	العصر	١
الحج	٢٣	الفتح	١٢	القيامة	١	الفيل	١
المؤمنون	١٢	الحجرات	٦	الإنسان	٣	قريش	١
النور	٢٢	ق	٤	المرسلات	٢	الكوثر	١
الفرقان	٨	الذاريات	٦	النازعات	٣	النصر	١
الشعراء	٢١	الطور	٤	عبس	٥		
النمل	٢١	النجم	٦	التكوير	١		

المجموع ٦٦٩+ ٣٢١+ ١٣٥ + ٥٠ = ١١٧٥

* * *

الفصل الأول
سنن العلاقة بين عمل الله وعمل العبد

ما زال المسلمون يتساءلون : هل الهداية والضلال بيد الله وحده ؟!

وهل الإنسان مسير أم مخير ؟! ألم تنص عدد من الآيات على أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ؟!

فأين العدالة الإلهية ؟! وكيف يثاب أو يعاقب من لا يملك من أمره شيئاً ؟!

إن تقصِّي آيات القرآن الكريم يخرجنا من هذه الدوامة . . ففيه تأتي آيات تذكر عمل الله وحده . . مثل قوله تعالى : ﴿يهدي من يشاء﴾ . . وفيه آيات تذكر عمل العبد وحده مثل قوله تعالى : ﴿إن الذين كفروا﴾ . . . وفيه آيات تذكر العملين مرتبطين بعلاقة سببية ، بحيث يأتي عمل الله ثمرة وعطية لما قام به العبد من جهد وعمل ، مثل قوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ وقد أخبرنا الله تعالى أن هذا القرآن ﴿منه آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأُخر متشابهات . . ﴾ [آل عمران : ٧] المتشابهات قد تلتبس على الجاهلين فيقفون عندها محتارين . . وهي التي يستخدمها ﴿الذين في قلوبهم مرض﴾ لزرع الفتنة والتشويش في عقول البسطاء .

وأما الذين عندهم علم فيردون المتشابهات إلى المحكمات البينات فيفهمون الآيات كلها بشكل متكامل . . وذلك أن الآيات المحكمات تضع قواعد واضحة لا تحتمل التلاعب . . وهي التي تنص على مقاصد القرآن والمبادىء العليا للدين . . فالعدل الإلهي مبدأ أساسي في الدين . . والإرادة الإنسانية وقدرة الإنسان على الاختيار والعمل . . مؤهلات أعطيت للإنسان

ليستطيع القيام بالخلافة في الأرض.. وفي بحثي هذا سأسوق الآيات التي نصت على قوانين الهداية وقوانين الضلال...

والتي ينبغي أن تكون المرجع لكل من أشكل عليه شيء... فالقرآن يفسر بعضه بعضاً.. ونعوذ بالله من أن نكون من الذين ندد بهم الله بقوله: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠- ٩١] أي جعلوه مجزءاً مفرقاً بعضه عن بعض.. فلا يقدرون على ربط أحكامه وقواعده ببعضها.. وبذلك يتوهون عن روح القرآن وجوهره.. ويعجزون عن الفهم الكلي المترابط لآياته.

على بركة الله سأنطلق مع آيات الله في هذا المجال.. وقد لاحظت أنه يمكن فرزها إلى عناوين خمسة ستكون أبواباً في هذا الفصل:

١- باب سنن الهداية. ٢- باب سنن الضلال. ٣- باب سنن الخسارة.
٤- باب الفلاح. ٥- باب محبة الله ومعيته.

* * *

باب : سنن الهداية

وقد صنفت الآيات والسنن الواردة في الهداية إلى ست نقاط :

١ـ الهداية للمتقين . ٢ـ الهداية إلى الرشد . ٣ـ لمن بذل جهده . ٤ـ بالخروج من الظلمات إلى النور . ٥ـ للخاشعين . ٦ـ لمن أطاع الله ورسوله .

١ـ الهداية للمتقين :

(والمؤمنين والمسلمين والمهتدين) ـ وهي في تسعة عشر موضعاً :

١ـ البقرة : الآية من ٢ إلى ٥ . ٢ـ البقرة : الآية ٢١٣ . ٣ـ آل عمران : الآية ٢٠ .

٤ـ الأعراف : الآية ٥٢ . ٥ـ الأنفال : الآية ٢٩ . ٦ـ يونس : الآية ٩ .

٧ـ يونس : الآية ٥٧ . ٨ ـ يوسف : الآية ١١١ . ٩ـ النحل : الآية ٦٤ .

١٠ـ النحل : الآية ١٠٢ . ١١ـ الكهف : الآية ١٣ و١٤ . ١٢ـ مريم : الآية ٧٦ .

١٣ـ النمل : الآية ٢ . ١٤ـ النمل الآية ٧٧ . ١٥ـ الروم : الآية ٥٣ . ١٦ـ فصلت : الآية ٤٤ .

١٧ـ الفتح : الآية ٤ . ١٨ـ التغابن : الآية ١١ . ١٩ـ محمد : الآية ١٧ .

ويعتبر افتتاح سورة البقرة من أوضح ما ذكر في هذا المجال :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٢ـ ٥] فهداية الله تأتي ثمرة

وهدية لهؤلاء الذين اتصفوا بالإيمان والعبادة والعطاء . .

ـ أما آية الأنفال ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ فقد تستشكل على القارىء . . ما هو الفرقان الذي يعد به المتقين . . ؟ بتصوري . . كل أمر أو حدث يجعلك تميز وتفرق بين الحق والباطل . . فهو وعد من الله بأن يسوق لك من الأسباب ما يعينك على الرؤية الواضحة للأمور . . وهذه هي الهداية . .

٢ـ الهداية إلى الرشد :

(إلى الصراط المستقيم) وهي في ثلاثة عشر موضعاً .

١ـ البقرة : الآية ١٨٦ . ٢ـ آل عمران : الآية ١٩٠ . ٣ـ النساء : ٦٨ . ٤ـ النساء : الآية ١٧٥ . ٥ـ الحج : الآية ٥٤ ٦ـ النمل : الآية ٩٣ ٧ـ سبأ : الآية ٦ . ٨ ـ غافر : الآية ٥٤ . ٩ـ الفتح : الآية ٢٠ . ١٠ـ الحجرات : الآية ٧ . ١١ـ ق : الآية ٨ . ١٢ـ الجن : الآية ٢ . ١٣ـ الجن : الآية ١٤ .

ولنتأمل كمثال على الهداية إلى الرشد ما قالته الجن عندما استمعت إلى القرآن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ . . . ﴾ ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴾ الرشاد هو أن تسلك الصراط المستقيم لأنه يوصلك إلى أحسن النتائج بأقل وقت وجهد وكلفة ولا شك بأن أولي الألباب هم الذين يصلون إلى هذه المرتبة لأنهم فعَّلوا عقولهم وراقبوا الطرق كلها . . واستمعوا إلى كل ما يقال فاختاروا الأحسن . ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧ـ١٨] .

٣ـ لمن بذل جهده :

(بالإحسان والصبر) وهي في تسعة مواضع :

١ـ البقرة : الآية ١٥٦ و١٥٧ ـ ٢ـ آل عمران : الآية ١٠١ ـ ٣ـ الأنعام : الآية ٨٢ .

٤ـ الأنعام : الآية ٨٤ ـ ٥ـ الأعراف : الآية ٢٠١ ـ ٦ـ الحجر : الآية ٧٥ .

٧ـ العنكبوت : الآية ٦٩ ـ ٨ ـ لقمان : الآية ٣ ـ ٩ـ الزمر : الآية ١٨ .

لنأخذ مثالاً الآية من سورة الأنعام :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢)

فلنتأمل كم يحتاج المؤمن إلى جهد كي لا يلوث إيمانه بأي ظلم بحق الخالق وبحق أي مخلوق ؟!

٤ـ الهداية بالخروج من الظلمات إلى النور :

وهي في تسعة مواضع :

١ـ البقرة : الآية ٢٥٧ ـ ٢ـ المائدة : الآية ١٦ ـ ٣ـ التوبة : الآية ١١٥ .

٤ـ الأنبياء : الآية ٤٨ ـ ٥ـ النور : الآية ٤٠ ـ ٦ـ الأحزاب : الآية ٤٣

٧ـ الحديد : الآية ٩ ـ ٨ ـ الحديد : الآية ٢٨ ـ ٩ـ الطلاق : الآية ١١ .

ولنتأمل هذا النموذج الرائع الذي جمع بين عطايا عديدة من الله عز وجل :
﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٦] .

فالهداية لمن اتبع رضوان الله وبحث عنه وتحراه فأوصله الله إلى طرق السلام وأخرجه من الظلمات إلى النور وهداه إلى صراط مستقيم . . !! اللهم اجعلنا منهم .

٥ـ للخاشعين : (ولمن أناب)

وهي في أربعة مواضع :

١ـ الرعد : الآية ٢٧ ـ ٢ـ الزمر : الآية ٢٣ـ ٣ـ الشورى : الآية ١٣ـ ٤ـ الأعلى : ١٠ .

فلنتأمل النموذج الخاشع في سورة الزمر : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢٣) .

الله نزل القرآن وهو أحسن الحديث ويقر بذلك العلماء والبسطاء والخاصة والعامة إن لم يكونوا من المكابرين أو الضالين . . ويصف الله هذا الكتاب بأنه (متشابه) . . قد تكون الكلمة إشارة إلى بعض التشابه بين آياته . . لكن الأولى أن نقول أن المعنى مثل ما جاء في أول سورة آل عمران : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ (٧) أي يشتبه معناها على الجاهلين . والله أعلم .

والمثاني : هي التي تُثَنَى وتعاد وتكرر تلاوتها ومع ذلك فإن أثرها ساري المفعول في نفوس الذين يخشون ربهم . . تقشعر جلودهم من آيات الله تارة . . وتلين جلودهم وقلوبهم تارة أخرى . . تفاعل رائع ومتجدد مع كلام الله سبحانه . . فكيف لا ينالون الهدى ؟!

٦ـ لمن أطاع الله ورسوله : (الاتباع للنبي)

وهي في أربعة مواضع .

١ـ الأعراف : الآية ١٥٨ . ٢ـ طه : الآية ١٢٣ . ٣ـ النور : الآية ٥٤ .
٤ـ لقمان : الآية ٥

فلنقرأ الآية ١٥٨ من سورة الأعراف :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إنه النداء للناس جميعاً أن يؤمنوا بالله ورسوله ويتبعوا رسوله ففيه الهداية والرشاد . . .

* * *

باب سنن الضلال

وقد صنفت السنن الواردة في الآيات عن الضلال إلى ست نقاط :

١ـ للفاسقين وأتباع الهوى والشيطان. ٢ـ للظالمين والمتكبرين .

٣ـ للكافرين والمشركين . ٤ـ للمجرمين والماكرين والسفهاء .

٥ـ لمن أطاع الكبراء . ٦ـ الذين طبع الله على قلوبهم .

١ـ للفاسقين وأتباع الهوى والشيطان :

وجاء ذلك في ثلاثة وعشرين موضعاً من القرآن .

١ـ البقرة : الآية ٢٦ . ٢ـ المائدة : الآية ١٠٨ . ٣ـ الأنعام : الآية ٥٦ . ٤ـ الأعراف : الآية ٣٠ . ٥ـ الأعراف : الآية ١٧٥ . ٦ـ الأعراف : الآية ١٧٦ . ٧ـ التوبة : الآية ٢٤ . ٨ ـ التوبة : الآية ٨٠ . ٩ـ التوبة : الآية ١٢٧ . ١٠ـ يونس : الآية ٣٣ . ١١ـ إبراهيم : الآية ٣ . ١٢ـ الكهف : الآية ٢٨ . ١٣ـ طه : الآية ١٦ . ١٤ـ الحج : الآية ٣ و٤ . ١٥ـ القصص : الآية ٥٠ . ١٦ـ الروم : الآية ٢٩ . ١٧ـ الأحزاب : الآية ٣٦ . ١٨ـ ص : الآية ٢٦ . ١٩ـ الجاثية : الآية ٢٣ . ٢٠ـ المجادلة : الآية ١٩ . ٢١ـ الصف : الآية ٥ . ٢٢ـ المنافقون : الآية ٦ . ٢٣ـ الأعلى : الآية ١١ .

وأذكر مثالاً من هذه المجموعة الآيتين : ١٧٥ و١٧٦ من سورة الأعراف :

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

بِـَٔايَـٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ صورة دقيقة مرسومة لنمط من الناس. . تأتيهم آيات الله وتعرض عليهم بيّنة مشرقة. . لكنهم ينسلخون منها ـ وكأنها كانت لباساً ملتصاقاً بهم ـ ويتسلط عليهم الشيطان ويغويهم حتى ينحطون إلى الحضيض ويلتصقون بالأرض. . وذلك أمر لم يكن الله يرغب به للناس ولهذا أنزل إليهم الآيات ليرفعهم بها. . لكنهم اختاروا اتباع الهوى والسقوط في براثنه. . ويضرب لهم مثلاً بالكلب. . إن تهاجمه يلهث وإن تركته يلهث. . فلا يمكن إنقاذه وإصلاح حاله. . أفلا تعتبرون مما يقصه الله عليكم. . ؟! والله يأمرك أيها الداعي أن تقص عليهم أخبار الأمم والسابقين وتضرب لهم الأمثال. . لعلهم يتفكرون ويهتدون. .

ـ ومثال آخر من هذه المجموعة يحدد الله فيه من هم الفاسقون :

﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤]

الفاسقون هم الذين أعطوا الأولوية لغير الله ورسوله. . فضاع منهم توحيد الله. . . وفقدوا مركزية الإيمان والتزاماته .

٢ـ للظالمين ولمن تكبر في الأرض :

وقد سجلت في هذا المجال سبعة عشر موضعاً :

١ـ البقرة : الآية ٢٥٨ . ٢ـ آل عمران : الآية ٨٦ . ٣ـ المائدة : الآية ٥١ . ٤ـ الأنعام : ١٤٤ . ٥ـ الأعراف : الآية ١٤٦ . ٦ـ الأعراف : ١٨٦ . ٧ـ التوبة : الآية ١٩ . ٨ ـ التوبة : الآية ١٠٩ . ٩ـ إبراهيم : الآية ٢٧ . ١٠ـ القصص : الآية ٥٠ . ١١ـ لقمان : الآية ١١ . ١٢ـ غافر : الآية ٥٦ . ١٣ـ الأحقاف : الآية ١٠ . ١٤ـ الأحقاف : الآية ٣٢ . ١٥ـ الفتح : الآية ٢٦ . ١٦ـ الصف : الآية ٧ . ١٧ـ الجمعة : الآية ٥ .

من هذه الآيات الآية ١٤٦ من الأعراف :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ من هؤلاء المحرومون من معونة الله المحجوبون من رؤية آيات الله . . ؟!

إنهم المكذبون بآيات الله استكباراً واستعلاء . . وانظر إلى كبريائهم كيف حرمتهم من رؤية أي خير . . حرمتهم من آيات الله ومن الرشاد . . وساقتهم إلى الغي والتكذيب . . فكيف يرحمهم الله وهم لا يرحمون أنفسهم . . ؟! وكيف يهديهم الله وقد رفضوا كل سبيل للهداية . . ؟!

وفي موضع آخر يحدد الله سبحانه لنا مشيئته : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

إن سنة الله في مشيئته أن يثبت الذين آمنوا على الخير . . ويضل الله الظالمين . . فمن وجد خيراً فليحمد الله . . ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

ـ وقد تشكل علينا الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر : ٥٦] .

هؤلاء يجادلون في آيات (بغير سلطان) أي بغير علم . . فمن كان له علم نال ما يريد وكان له سلطان . . فما هو الدافع لهم . . وما الذي يصرفهم عن التصديق . . ؟ إنه الكبر والاستعلاء . . فأين العاقبة هنا . . وأين الضلال الذي يحكم الله به عليه ؟! إنه كامن في سنة الله : (ما هم ببالغيه) فلا بد أن

يسقطوا. . إن الاستكبار في الأرض مرض خطير وجرم كبير. . لأنه لا يظلم الضعفاء فقط. . بل يظلم نفسه ويحرمها من بركات العلم والاهتداء إلى الحق. . يحرمها من عواقب الخير في الدنيا والآخرة .

ـ وفي سورة الفتح يمنح الله الكافرين صفة وخيمة تؤدي بهم إلى ضلال مبين ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٦] إنها ضلال الحمية الجاهلية .

٣ـ للكافرين والمشركين :

وقد جمعت في هذا المجال ست عشرة آية :

١ـ البقرة : الآية ١٠٨ . ٢ـ البقرة : ٢٦٤ . ٣ـ النساء : الآية ١١٦ . ٤ـ النساء : الآية ١٣٦ . ٥ـ النساء : الآية ١٦٧ . ٦ـ المائدة : ١٢ . ٧ـ المائدة : الآية ٦٧ . ٨ ـ الأنفال : الآية ٢٣ . ٩ـ التوبة : الآية ٣٧ . ١٠ـ الرعد : الآية ٣٣ و٣٤ . ١١ـ النحل : الآية ٩٩ و١٠٠ . ١٢ـ النحل : الآية ١٠٤ . ١٣ـ النحل : الآية ١٠٧ . ١٤ـ الحج : الآية ٣١ . ١٥ـ الزمر : الآية : ٣ . ١٦ـ غافر : ٧٤ .

وفي الآية ٢٦٤ من البقرة نلاحظ أن الله أطلق الكفر على الرياء :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . . . فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار. . والرياء هو الشرك الخفي .

ـ وفي موضع آخر لا يصرح بالكفر عن طائفة من الناس. . وإنما يرسم لهم ورة ويحكم عليهم : ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢ـ ٢٣] .

فهم شر المخلوقات التي تدب على الأرض لأنهم عطلوا وسائل المعرفة التي أنعم الله عليهم بها.. فهم لا يسمعون آيات الله.. ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم.. لكنهم ولو سمعوا سيعرضون.

٤ـ للمجرمين والماكرين والسفهاء : (والذين يجادلون بغير علم)

وقد سجلت في هذا المجال ثمان آيات :

١ـ الأنعام : ١٤٠ . ٢ـ إبراهيم : ٤٦ و٤٧ . ٣ـ الحجر : ١٢ و١٣ . ٤ـ الحج : ٨ و٩ . ٥ـ غافر : ٢٨ . ٦ـ غافر : ٣٤ . ٧ـ فصلت : ٥٢ . ٨ـ الجن : ٦ .

ففي سورة الأنعام يندد بنوع من المجرمين : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ . كانوا يقتلون أولادهم خشية القفر ـ وقد عرف وأد البنات عند الجاهلين ـ فيقول عنهم الله أنهم سفهاء يتصرفون بغير علم[1]..

كذلك فإنهم كانوا يعتدون عل حاكمية الله فيحللون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله.. هؤلاء الجاهليون موجودون في كل عصر.. يقتلون أولادهم بحرمانهم من الأهداف النبيلة وتكريسهم للضلال والإضلال والإفساد في الأرض.. وما أتعس الإنسان حين يصبح مثله الأعلى جمع المال.. وبعض غلاة المتصوفة حرَّموا على أنفسهم ما رزقهم الله من طيبات الحياة الدنيا.. فضلوا وأضلوا..

ـ وفي سورة إبراهيم (٤٦ و٤٧) لا يصرح الله بضلال الماكرين.. لكن يفهم ذلك من سياق الآيات : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن

---

(١) فتأمل كيف تقود السفاهة وقلة العلم إلى ارتكاب الجرائم.. !!.

كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۞ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾.. فلقد وصل بهم مكرهم مبلغاً عظيماً.. وعتوا عتواً كبيراً.. لقد صنعوا السلاح النووي الذي يدمر الجبال.. بل يمكن أن يدمر الأرض كلها.. لكن ﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ فهو مسجل عنده وسيحاسبهم.. هذا ما يفهم لأول وهلة.. ولنا أن نفهم أن مكرهم هذا محكوم بسنن الله.. (عند سنن الله يُحكَمُ على مكرهم).. وقد أخبرنا الله عن شيء من سننه في الماكرين.. فقال سبحانه ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ .

- وفي سورة الحجر (١٢ و١٣) : ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ إن قانون الله نافذ ينتظم قلوب كل المجرمين في سلك واحد.. فهم لا يؤمنون وسيهلكون كما هلك الأولون.. وكلمة (كذلك) تؤكد سريان سنة الله.. فيفعل بالثاني كما فعل بالأول .

- وفي سورة الحج يحدثنا عن نمط من الضالين : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۞ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (٨ و٩) يجادل وهو خاوٍ من أي رصيد من علم أو هدى أو كتاب منير.. (ثاني عطفه) في إعراض واستكبار يبتغي إضلال الناس.. لكن كيده لا ينطلي إلا على الجاهلين المغفلين..

- والذين يولعون بالجدل والشقاق تنالهم سنة الله في الضلال : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت : ٥٢] .

كذلك السفهاء والجهال الذين كانوا يعوذون بالجن ويظنون أنهم يحمونهم.. فزادوهم رهقاً.. وهو دأب شياطين الإنس والجن.. من لاذ بهم أردوه في المهالك.. فهل يخدع بهم عاقل.. ؟!

٥ـ لمن أطاع الكبراء والسادة : (والأكثرية)

وهم المستضعفون الذين يدعمون الكبراء بطاعتهم . . وقد سجلت سنة الله فيهم في خمس آيات :

١ـ الأنعام : ١١٦ . ٢ـ طه : ٧٩ . ٣ـ الأحزاب : ٦٧ . ٤ـ الزخرف : ٥٤ . ٥ـ الممتحنة : ١ .

وأبرز مثال في هذا المجال ما ورد في سورة الأحزاب ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ (٦٧) . . والقرآن رسالة تحرير للمستضعفين إذ جعلهم يملكون مفتاح التغيير بتنفيذ إجراء يقتضيه توحيد الله . . ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق: ١٩] . . فطاعة الله وحده تقضي على سلطان المستكبرين .

٦ـ الطبع على القلوب :

وقد جمعت في هذا المجال أربع عشرة آية :

١ـ النساء : الآية ١٥٥ . ٢ـ المائدة : الآية ١٣ . ٣ـ الأعراف : الآية ١٠٠ . ٤ـ الأعراف : الآية ١٠١ . ٥ـ التوبة : الآية ٨٧ . ٦ـ التوبة : الآية ٩٣ . ٧ـ يونس : الآية ٧٤ . ٨ ـ النحل : الآية ١٠٨ . ٩ـ الإسراء : الآية ٤٥ و٤٦ . ١٠ـ الكهف : الآية ٥٧ . ١١ـ الروم : الآية ٥٩ . ١٢ـ غافر : الآية ٣٥ . ١٣ـ محمد : الآية ١٦ . ١٤ـ المنافقون : الآية ٣ .

ـ ففي سورة النساء (١٥٥) أسباب الطبع على القلوب نصت عليها الآية :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فهي سنة الطبع ـ أو الختم ـ على القلوب .

ـ وفي سورة المائدة (١٣) عبر عن (الطبع) بـ(قسوة القلوب)

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ .

ـ وأما في سورة الإسراء (٤٥ ـ ٤٦) فيصرف الله الآيات ويأتي التعبير بأسلوب آخر :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ إن عدم إيمانهم بالآخرة تسبب في وضع حجاب سميك بينهم وبين القرآن . . وإحاطة قلوبهم بأكنة تمنعهم من فقه القرآن . . وكأن في آذانهم صمم . . لم يستفيدوا من وسائل المعرفة التي وهبها الله لهم . . فعطلها الله ووضع عليها الأغطية والأحجبة . . فلم تعد تفيدهم بشيء . . .

❊ ❊ ❊

باب سنن الخسارة

ويمكن أن نلاحظ الخسارة في خمسة مجالات :

١ـ الخسارة والعذاب بسبب الكفر والذنوب .

٢ـ الهلاك بالظلم والتكذيب وطاعة الكفار .

٣ـ تحول النعم إلى عذاب وحبوط الأعمال .

٤ـ الوقوع بالعداوة والبغضاء والفساد لمن كذب وافترى .

٥ـ الخسارة بإغلاق وسائل المعرفة .

١ـ الخسارة والعذاب بسبب الكفر والذنوب :

(اللعنة ـ الذلة والمسكنة ـ الجوع والخوف)

وقد أحصيت ذلك في أربعة وثمانين موضعاً من القرآن :

البقرة : ١ـ الآية ١٦ـ ٢ـ الآية ٦١ـ ٣ الآية : ٨٥ ـ ٤ـ الآية : ٨٨ ـ ٥ـ الآية : ١٢١ **آل عمران** : ١ـ الآية : ١١ـ ٢ ـ الآية : ١٢ـ ٣ـ الآية : ١٩ـ ٤ـ الآية : ٥٦ـ ٥ـ الآية : ١١٢ـ ٦ـ الآية : ١٥١ـ ٧ـ الآية : ١٦٥ـ **المائدة** : ١ـ الآيـة : ١٨ـ ٢ـ الآيـة : ٤٩ ـ **الأنعـام** : ١ـ الآيـة : ٤٩ـ ٢ـ الآيـة : ١٢٥ـ **الأعراف** : ١ـ الآية : ٩٦ـ ٢ـ الآية : ١٠٠ـ ٣ـ الآية : ١٥٢ـ

الأنفال : ١ـ الآية : ٧ـ ٢ـ الآية : ١٣ـ ٣ـ الآية : ١٨ـ ٤ـ الآية : ١٩ـ ٥ـ الآية : ٣٥ـ ٦ـ الآية : ٣٦ـ ٧ـ الآية : ٥٢ـ ٨ ـ الآية : ٥٤ـ ٩ـ الآية : ٧١ـ **التوبة** : ١ـ الآية : ٧٤ـ ٢ـ الآية : الآية : ١٢٥ **يونس** : الآية ٢٧ـ **هود** : الآية

٨ ـ **الرعد** : الآية ٣١ـ **إبراهيم** : ١ـ الآية : ٧ـ ٢ـ الآية : ١٣ـ ٣ـ الآية : ٢٨ـ **الحجر** : من ٨١ إلى ٨٤ ـ **النحل** : ١ـ الآية : ٨٨ ـ ٢ـ الآية : ٩٤ـ ٣ـ الآية : ١١٢ **الإسراء** : الآية ٢٢ـ **الكهف** : الآية : ٨٧ ـ **مريم** : ٥٩ـ **طه** : ١ـ الآية : ٤٨ـ ٢ـ الآية : ٨١ ـ ٣ـ الآية : ١٢٤ـ **الأنبياء** : ١ـ الآية : ٤١ـ ٢ـ الآية : ٧٧ـ **الحج** : الآية : ٩ـ **النور** : ٢٣ـ **الشعراء** : الآية : ٦ـ الآية : ٢١٣ـ **الروم** : الآية : ٤٧ـ **السجدة** : الآية : ٢١ـ **سبأ** : الآيتان : ١٦ و١٧ـ **فاطر** : ١ـ الآية : ١٠ـ ٢ الآية : ٢٦ـ ٣ـ الآية : ٣٩ـ **ص** : الآية : ١٤ **الزمر** : الآيتان : ٢٥ و٢٦ـ الآية : ٦٣ـ **غافر** : ١ـ الآية : ٥ـ ٢ـ الآية : ٢٢ـ ٣ـ الآية : ٤٥ـ ٤ الآية : ٨٣ ـ ٥ـ الآية : ٨٥ ـ **فصلت** : الآيتان : ١٦ و١٧ـ **الشورى** : الآية ٢٦ـ **الزخرف** : ٤٨ والآية : ٥٥ـ **الجاثية** : ١ـ الآية : ٨ ـ ٢ـ الآية : ١١ـ ٣ الآية : ١٩ـ **الأحقاف** : ٢٦ـ ٣٥ـ **الذاريات** : ٤٤ **الملك** : ٢٧ـ **القلم** : ٣٣ـ **نوح** : ٢٥ـ **الغاشية** : ٢٣ و٢٤ـ **الشمس** : ١٤ـ **الليل** : من ٨ إلى ١١ـ **الكوثر** : ٣ .

ونلاحظ أن سنة الخسارة لا تنطبق على الكافر وحده. . بل وعلى المؤمن إن أذنب وآثر الدنيا .

وأبرز مثال على ذلك ما حصل للمسلمين يوم أحد من هزيمة وإصابات وجراح. . حين خالفوا أمر النبي ﷺ طمعاً في الغنائم كما نصت الآية ١٦٥ من آل عمران : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾. .

وكان المسلمون قد انتصروا ببدر وألحقوا بالمشركين من الخسائر مثلي ما أصابهم من خسائر في أحد. . وكانت الصدمة السننية شديدة الأثر على نفوسهم حتى تساءلوا محتارين : ـ كيف حدث هذا ؟! ألسنا نحن المسلمين. . ؟! وهم الكافرون ؟! فكيف نهزم وينتصرون. . ؟!

كان درساً واقعياً وضرورياً ليتعلم المسلمون أن سنن الله لا تحابي أحداً. . وأن المخالف لأوامر النبي لابد أن يجني نتيجة مخالفته في الدنيا فإن صحا وتاب غفر له في الآخرة. . أما في الدنيا فعليه أن يتعلم سنة الله ويلتزم بالأسباب ليصل إلى النتائج. . وقد كشف العلم أسباباً كثيرة للنجاح تضاف إلى أوامر النبي ﷺ .

ـ والرعب خسارة وعذاب وسببه الشرك بالله : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١]. . فالمشرك لا يؤمن بأن النفع والضر بيد الله وحده. . بل يظن أن السادة والطغاة هم الذين يحددون مصيره ونجاته أو سقوطه. . فتراهم مرعوبون من كل شيء. . يتوجسون شراً من كل كلمة أو حركة تصدر من هذا الرئيس أو ذاك المستكبر. . بل لا يثقون بأحد فقد يكون عميلاً يتجسَّس ويكتب التقارير. . وهكذا يؤرقهم الرعب وتزلزلهم الهواجس. . .

ـ وينزل الله آياته على الناس ليهديهم ويعينهم على أداء دورهم الذي ارتضاه لهم في إصلاح الأرض وتعميم الخير. . . ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤ـ ١٢٥]. . فتأمل كيف يصبح القرآن سبباً في زيادة الإيمان للمؤمن وزيادة في الإثم والرجس لمن لم يطهر قلبه من الأمراض الفكرية والنفسية. . !!

ـ إن الأعمال السيئة لا يمكن أن تثمر إلا نتائج سيئة ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا . . ﴾ [يونس : ٢٧] ما لهم من سنة الله من يعصمهم ويحميهم. . حتى أن السيئات تنعكس على قسمات وجوههم بالقتامة والانقباض. . إنها لغة الجسد تنطق بأفكارهم وأعمالهم السيئة. . (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم

ثم أوفيكم إياها . . فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)[1] .

ـ ولا بد من الانتباه إلى أن الندم على الذنوب لا يحميك من العواقب الدنيوية لأعمالك . .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٤ـ ٨٥] .

قد ينفع الندم إن علَّمك اجتناب الكفر والسيئات . . وقد ينفع في الآخرة إن أوصلك إلى التوبة . . وأما في الدنيا فلا بد أن تؤتي الأعمال ثمارها . .

٢ـ الهلاك بالظلم والتكذيب وطاعة الكفار :

(النسيان ـ الإسراف ـ ظلم النفس)

وقد جمعت في هذا المجال أكثر من ثمانين آية في خمسة وسبعين موضعاً :

البقرة : ١ـ الآية : ٥٧ـ ٢ـ الآية : ٥٩ـ ٣ـ الآية : ١١٤ـ ٤ـ الآية : ٢٣١ (وتنص على خطر الظلم في الأسرة) .

آل عمران : ١ـ الآية : ١١٧ـ ٢ـ الآية : ١٤٩ـ **النساء** : الآية : ١٩ (وتنص على خطر الظلم في الأسرة) **الأنعام** : ١ـ الآية : ٢١ـ ٢ـ الآية : ٤٧ـ ٣ـ الآية : ١٣٥ـ **الأعراف** : ١ـ الآية : ٥ـ ٢ـ الآية : ١٣٧ـ ٣ـ الآية : ١٦٠ـ ٤ـ الآية : ١٦٥ـ الآية : ١٧٧ـ **التوبة** : ١ـ الآية : ٦٧ـ ٢ـ الآية : ٧٠ **يونس** : ١ـ الآية : ١٣ـ ٢ الآية : ١٧ـ ٣ـ الآية : ٢٣ـ ٤ـ الآية : ٤٤ـ **هود** : ١ـ الآية : ١٠٢ـ ٢ـ الآية: ١١٣ـ ٣ الآية : ١١٧ـ **يوسف** : الآية : ٢٣ـ **إبراهيم** : ١ـ

(١) مختصر مسلم للمنذري ـ رقم ١٨٢٨ .

الآية : ١٠٢ـ ٢ـ الآية : ١٥ـ **الحجر** : الآيتان : ٧٨ و٧٩ـ **النحل** : ١ـ الآية : ٣٣ و٣٤ـ ٢ـ الآية : ١١٣ـ ٣ـ الآية : ١١٨ـ **الكهف** : الآية : ٥٩ـ **الأنبياء** : ١ـ الآية : ٩ـ ٢ـ ١٤ و١٥ **الحج** : الآية : ٧١ـ **المؤمنون** : الآية : ٤٨ـ **الشعراء** : ١ـ الآيتان ٢٠٨ و٢٠٩ـ ٢ـ الآية : ٢٢٧ **النمل** : ١ـ الآيتان ٥٠ و٥١ـ ٢ـ الآية : ٨٥ ـ **القصص** : ١ـ الآية : ٣٧ـ ٢ الآية : ٥٩ **العنكبوت** : ١ـ الآية : ١٤ـ ٢ الآية : ٣١ـ ٣ـ الآية : ٤٠ـ **الروم** : الآية : ٩ **سبأ** : الآية : ١٩ـ **يس** : الآيتان : ٢٨ و٢٩ـ **الزخرف** : الآيتان : ٧ و٨ ـ ٢ـ الآيتان : ٣٦ و٣٧ـ ٣ الآية : ٧٦ـ **ق** : الآية : ١٤ـ **الذاريات** : الآيتان : ١٠ و١١ـ ٢ـ الآية : ٥٩ـ **الطور** : الآية ٤٧ـ **النجم** : الآيات من ٥٠ إلى ٥٢ـ **القمر** : ١ـ الآية : ٣٧ـ ٢ـ الآية : ٤٢ـ ٣ـ الآيتان : ٤٤ و٤٥ **المجادلة** : الآية : ١٩ و٢٠ـ **الحشر** : الآية : ١٩ـ **الممتحنة** : الآية ٩ـ **الطلاق** : الآية ١ (الظلم في الأسرة) **الحاقة** : الآيات من ٤ إلى ٦ـ الآية : ١٠ـ **الجن** : الآية : ١٧ـ **المزمل** : الآية : ١٦ـ **الإنسان** : ٣١ **المرسلات** : الآيات من ١٥ إلى ١٨ـ **النازعات** : الآيتان : ٢٤ و٢٥ ـ **الإنشقاق** : الآيات من ٢٢ إلى ٢٤ **البروج** : الآيات من ٤ إلى ٧ـ والآيتان : ١٩ و٢٠ـ **الفجر** : الآيتان : ١٢ و١٣ـ **العلق** : الآيات من ١٣ إلى ١٥ .

نلاحظ العواقب الوخيمة للظلم وخطره على الحياة الاجتماعية في الأمة وخاصة في نطاق الأسرة :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

كيف يمكن إيقاف الظلم في الأمة إن كان الظلم يعشش في خلاياها الأولى : الأسر . . ؟!

إن الأطفال ـ وهم جيل المستقبل وبُناته ـ إن نشأوا في أسرة تئن أركانها من وطأة الظلم. . لا بد أن يترسخ الظلم في أعماقهم. . يمارسونه بعد ذلك عند شبابهم. . فهم إما ظالمون أو ضعفاء حاقدون يتربصون الفرص للانتقام. . أليس هذا ما تحذر منه الآية : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ ؟! فتأمل كيف يحاط الحكم بالتحذير من التلاعب بآيات الله. . والتذكير بنعمة إنزال الكتاب والحكمة ليعلمكم ويحذركم من زرع بذور الشقاء في الأسرة ثم في الأمة. . وملاك ذلك كله تقوى الله الذي يعلم السر وأخفى. . فتَذَكَّرْ قد تخدع الناس وتخفي عنهم الحقيقة. . لكن هل تملك خداع الله. . ؟!

ـ وكذلك تأتي الآية ١٩ من سورة النساء. . لتحذر من ظلم النساء وترغب في إكرامهن حتى في حالة الكراهية. . فإن ضبط الكراهية والانتصار عليه بالإحسان هو الذي ينبت الخير الكثير الذي لا يظهر إلا بعد حين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. . إنه النهي عن ممارسة أي ضغط على نساء الأسرة لاغتصاب أموالهن. . والأمر بالتعامل بالمعروف والإحسان حتى في حالة الكراهية. . فالمؤمن سيد عواطفه وليس عبداً لها .

وكذلك يأتي النهي في أول سورة الطلاق عن إخراج المطلقات من البيوت. . والسورة كلها تحذر من ظلمهن .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا . . . ﴾
(تأمل الآيات من ٨ إلى ١٠ من الطلاق). .

ـ وهناك ظلم النفس والظلم بحق الله . . ظلم النفس بحرمانها من العيش في كنف الله . .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[الأنعام : ٢١] .

إنه الظلم العظيم : « إن الشرك لظلم عظيم » . . لأنه مصدر كل المظالم في حياة الفرد والأمة . والناس مهما أشركوا وظلموا وعصوا . . فإنهم يظلمون أنفسهم بالدرجة الأولى ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٠] . . وتأمل رحمة الله بالناس حين تشتد عليهم الأمور : ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ . . ﴾ [يونس : ٢٢ـ٢٣] .

إن كثيراً من الناس مصابون بقصر النظر فلا يرون إلا النتائج السريعة العاجلة فيقعون في الظلم والبغي بحق الناس ويظنون أنهم رابحون . . لكن سرعان ما تأتي النتائج البعيدة المدى وينكشف الأمر بأنهم قد زرعوا الظلم حتى نما واستفحل وأصبح ثقافة سائدة في الأمة تضرب مصالح الجميع . .

ولهذا يأتي التوجيه للنبي وأتباعه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود : ١١٣] إياك أن تطغى . . وإياك أن تركن إلى الطغاة وتستعين بهم إنك بذلك تشاركهم وتدعم بقاءهم وبذلك تَمَسَّكَ النار التي أشعلوها في الأمة . . ولا تظن أنهم ينصرونك أو ينفعونك . . إن سنة الله ماضية ولا يقدر أحد أن يفلت منها . . (على الباغي تدور الدوائر) . ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم : ١٣] .

ـ وظلم الغفلة عن ذكر الله ونسيان آياته وأوامره حتى يصبح المرء مطية

للشيطان ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ١٩ـ ٢١] إن سنة الله ماضية في نصرة الأنبياء وإرساء مبادئهم في الحياة الإنسانية.. تأملوا عبر التاريخ كم حاول شياطين الإنس والجن القضاء على الأديان السماوية والانتقاص من قدر الأنبياء.. ولكن دين الله باقٍ وأنبياءه مبجلون.. فلا يستخفنك الذين لا يوقنون.. لأنهم هم المندثرون..

٣ـ تحول النعم إلى عذاب وحبوط الأعمال :

وقد سجلت هذه السنة في اثنين وعشرين موضعاً :

آل عمران : ١ـ الآية : ٢١ و٢٢ـ ٢ـ الآية : ١٤٩ـ **المائدة** : الآية : ٥ـ **الأنعام** : الآية : ٨٨ ـ **الأعراف** : الآية : ١٤٧ ـ **الأنفال** : الآية : ٣٦ـ **التوبة** : الآية : ٢٥ـ ٢ـ الآية : ٦٩ـ ٣ـ الآيات : ٧٥ و٧٦ و٧٧ـ ٤ـ الآية : ٨٥ ـ **إبراهيم** : الآية : ١٨ـ **الإسراء** : الآية : ٨٢ ـ **الكهف** : الآية : ١٠٥ـ **الشعراء** : ٥٧ و٥٨ـ **الأحزاب** : الآية : ١٩ـ **الرمز** : الآية : ٦٥ـ **فصلت** : الآية : ٤٤ـ **محمد** : ١ـ الآية : ١ـ ٢ـ الآيتان : ٨ و٩ـ ٣ـ الآية : ٢٨ـ ٤ـ الآية : ٣٢ـ **المنافقون** : الآية ٩ .

ـ حين نبحث في أصل معنى (حبطت) نجد أن العرب كانوا يقولون حبطت الناقة إذا أكلت من نبات سام يجعلها تنتفخ ـ فيظن بأنها سمنت ـ ثم تموت.. فيشبه الله أعمال الكافرين ومن سار على خطاهم بذلك.. فهم يعملون أعمالاً يظنون أنها رابحة ـ وهي النظرة العاجلة القاصرة التي لا تتابع الأحداث إلى نهايتها ـ لكنها لا تلبث أن تسوقهم إلى الخسارة . وهكذا تتحول النعم إلى عذاب كما تنص الآية ٣٦ من الأنفال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ... ﴾

وهكذا تضيع الأموال هباء وراء الأهداف الخسيسة . .

وحتى المؤمنون معرضون لتحول النعم إلى عذاب إن اختلّت موازينهم وضعف اتصالهم بالله . . انظر إلى ما حل بهم يوم حنين ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥] أعجبتهم الكثرة فاسترخت النفوس وغابت اليقظة وضعف التضرع لله . . فأصبحت الكثرة مصدر فوضى وبلبلة . . وتدافع إلى الهروب والفرار .

ـ ولنتأمل قول الله في الآية ٨٥ من التوبة : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ . . وكيف تصبح الأموال والأولاد مصدر عذاب في الدنيا قبل الآخرة . . لأن هذه النعم حين تسخر للأهواء ونشر الفساد توقع أصحابها في العذاب . . وحين تربي ابنك على حب المال والتكالب عليه . . فسيرميك ويتخلى عنك حين تكون في أمس الحاجة إليه . . وحين لا تهتم في غرس الإيمان بالله والتخلق بالفضائل في نفوس أولادك فإنهم سيوقعونك في المشاكل والمتاعب . . وحين يغيب الإيمان بالله وتنعدم التقوى من النفوس يصبح المال أشد وبالاً على الإنسان من الفقر .

ـ وحين تفتقر الأعمال إلى الأهداف النبيلة . . وينقطع الإنسان عن ربه تصبح أعماله رياء وطلباً لمصالح مادية أنانية . . فينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم : ١٨] .

ـ بل إن نعمة القرآن ونزوله هداية للعالمين تنقلب إلى نقمة وخسارة للكافرين : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] لأنهم يجعلون القرآن (عضين) مقطعاً محرَّفاً لا يدخلون إلى روحه ونظامه فلا يجاوز حناجرهم إن قرأوه . . وتأمل حال المتشددين كيف

يصبح القرآن عليهم عمىً حين يتشبثون بحرفية النصوص ويغيب عنهم أنه شفاء ورحمة .

٤ـ الوقوع بالعداوة والبغضاء والفساد لمن كذب وافترى ونسي أحكام الله .

وقد تتبعت السنن في هذا المجال في ثلاثة عشر موضعاً :

المائدة : ١ـ الآية : ١٤ـ ٢ـ الآية : ٣٠ـ **الأنعام** : الآية : ١٤٠ـ **يونس** : ١ـ الآية : ٤٥ـ ٢ـ الآية : ٩٥ **طه** : الآية : ٦١ـ **المؤمنون** : الآية : ٧٤ـ **النمل** : الآيتان : ٤ و٥ـ **سبأ** : الآية : ٨ ـ والآية : ٥٤ **الشورى** : الآية ١٨ـ **محمد** : الآية : ٢٢ـ **الفجر** : الآيات : ١١ و١٢ و١٣ .

ونرى في هذه الآيات كيف يقع الإنسان بقتل أخيه أو ابنه . . ويحرم الحلال ويحلل الحرام . . كل ذلك حين ينسى أحكام الكتاب ـ الذي وصف بأنه الذكر الحكيم ـ ويقع في الكذب والتكذيب والافتراء . .

٥ـ الخسارة بإغلاق وسائل المعرفة :

وقد أحصيت منها سبعة مواضع في القرآن :

البقرة : الآيتان : ٦ و٧ـ **الأنعام** : الآية ٣٩ـ والآية : ١١٠ـ **الأعراف** : الآية : ١٧٩ـ **النمل** : الآيتان : ٨٠ و٨١ ـ **الزخرف** : الآية : ٤٠ .

ـ فلنتأمل هذه الصورة التي ترسمها الآية ١٧٩ من سورة الأعراف لمن غرقوا بالكفر والتكذيب « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » . فقد امتاز الإنسان عن الحيوان بهذه المواهب وعلى رأسها : القلوب التي تفقه الأحداث وتحللها لتعطي الأوامر للجسد كي يتخذ الموقف المناسب . . فما أتعس الإنسان حين يعطل هذه المواهب فلا ينتفع بها . . إنه ينتكس إلى درك أسفل من الحيوان بغفلته . .

إنهم الذين يقول الله عنهم : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ۞ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨٠ ـ ٨١] .

إنهم لم يفقدوا إنسانيتهم وحدها . . بل فقدوا حياتهم أيضاً . . وهل لحياة الإنسان قيمة إن أغلق عقله . . ؟!

وبعد فقد أكدت الآيات مرات عديدة أن الله لا يهلك إلا بعد إنذار « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » . . فهل يبقى للإنسان حجة للتنصل من المسؤولية عن فشله وأخطائه وما يجني من ورائها من عواقب . . ؟! إن الهروب من مواجهة الذات ومحاولة التبرير للأخطاء لن تنفع في الإنقاذ من عواقب الدنيا والآخرة . . بل إنها تؤخر حل المشاكل وتعوق التقدم . . فالتوبة لا تتحقق إلا بعد النقد الذاتي والقدرة على سماع النقد الموضوعي من الآخرين والاعتراف بالخطأ . . ومن المؤسف أن المسلمين اليوم غارقون في تعليق كل الأمور على إرادة الله . . والله يقول : لن أغير حتى تغيروا . . فإن انتبهوا قالوا كل ما يقع علينا هو من كيد أعدائنا . . تأمل كيف اتفق القرآن « قل هو من عند أنفسكم » مع الأحاديث الواردة من مثل : (من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) . . وأقرّ بذلك الشيطان ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

ولن تتزحزح الأمور في الواقع حتى نبدأ بهذه الخطوة في محاسبة الذات .

* * *

باب : سنن الفلاح

وتناولته هنا من جانب العلاقة بين عمل الله وعمل العبد.. وسأعود للحديث عنه في فصل سنن الاستخلاف للفرد والأمة.. لتحديد أسباب الفلاح في الدنيا. أما هنا فتكون ضمن خمسة عناوين: ١ـ سنن العطاء الإلهي. ٢ـ سنن النصر. ٣ـ الفلاح بطاعة الله ورسوله (التزام صفات المؤمنين). ٤ـ الفلاح ثمرة للصبر والمصابرة. ٥ـ الفلاح لمن زكى نفسه.

١ـ سنن العطاء الإلهي:

١ـ عطاء إلهي عام: ونلاحظه في سبعة مجالات:

البقرة: الآية: ٤٠ـ والآية: ١٢٤ـ **الأنفال**: الآية: ٦٠ـ **يوسف**: الآية: ٩١ـ **الإسراء**: الآية: ٢٠ **الأنبياء**: الآية: ٩ـ والآية: ٧٣ـ **السجدة**: الآية: ٢٤ـ **الكوثر**: الآية: ١.

ففي الآية ١٢٤ من سورة البقرة: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ نجد إبراهيم قد نجح في الابتلاء فأعطاه الله الإمامة.. وبيَّن السنة في ذلك « لا ينال عهدي الظالمين » والإمامة تختلف عن الملك والسيادة لأنها تتضمن محبة الناس والاقتداء بالإمام.. وفي سيرة يوسف نجد الصبر الطويل والحب والإحسان.. فإذا بالتمكين من الله يصل الذروة في خضوع إخوة يوسف واعترافهم ببعد المسافة بين جرمهم وارتقائه وعلو مكانته.. ﴿ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ

ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ . . فإذا بالقلب الطاهر الكبير ينبض : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [٩٠ـ٩١] .

ـ وفي سورة الإسراء نرى العجب . . إذ نجد أن سنة العطاء ليست خاصة بالمؤمنين . . بل إنها محكومة بالإرادة والسعي . . فمن أراد الدنيا العاجلة سعى لها . . وحصل على ثمرة سعيه . ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۞ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [١٨ـ ٢٠] . فالعطاء في الدنيا لا يشترط فيه الإيمان بالله . . وإنما هي الإرادة الفاعلة . . فقد وعد الله أن يعطي لمن أراد وسعى . . وهكذا سنن الله تعم الناس لأنها أسباب تؤدى فتعطي ثمارها .

٢ـ العطاء من رحمة الله وفضله : (بحسب الأعمال) .

والآيات في ذلك كثيرة . . أحصيت منها قريباً من أربعين . .

البقرة : الآية ٤٧ـ **النساء** : الآية ٤٠ـ **المائدة** : الآية ٣٥ـ **الأنعام** : الآية ١٥٥ـ **الأعراف** : الآية ٦٣ـ والآية : ١٥٦ـ والآية : ٢٠٣ـ والآية : ٢٠٤ـ **التوبة** : الآية ٧١ـ والآية : ٩٩ والآية : ١٢٤ـ **يونس** : الآية : ٢٦ـ والآية : ٥٨ـ والأية : ٨٧ ـ **يوسف** : الآية : ٥٦ـ **النحل** : الآية : ٣٠ والآية : ٩٧ـ **الكهف** : الآية : ٣٠ـ والآية : ٨٨ ـ **مريم** : الآيتان ٤٩ و٥٠ـ **الأنبياء** : الآية : ٧٥ **النور** : الآية : ٣٨ـ والآية : ٥٦ـ **القصص** : ٨٠ ـ **يس** : الآية : ١١ـ **الصافات** : الآيات من ١٠٥ إلى ١١٠ والآيات من ١٢٠ إلى ١٢١ـ والآيات من ١٢٩ إلى ١٣١ـ والآية : ١٣٤ـ **الزمر** : الآية : ١٠ **الشورى** : الآية : ٢٣ـ والآية : ٢٦ـ **الجاثية** : الآية : ٢٠ـ **الفتح** : الآية : ١٠ـ **النجم** : الآية : ٣١ـ **الحديد** : الآية : ١١ـ والآية : ١٨ـ والآية : ٢٨ـ **المزمل** : الآية : ٢٠ .

ـ ونلاحظ في الآيات ارتباط رحمة الله وعطائه من فضله بما يقوم به الإنسان من أعمال . . ولعل أبرز ما يوضح ذلك الآيتان ١٥٦ و١٥٧ من الأعراف : « قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

ـ وعندما يتساءل المشركون عن الآيات والمعجزات يحدثنا الله عن نعمة القرآن ورحمته التي لا ينالها إلا من يستمع وينصت له : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِئَايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٣ـ٢٠٤] . فما هو الإنصات وبأي شيء يختلف عن الاستماع ؟!

ابتداء الاستماع فيه جهد أكبر من السماع . . وأما الإنصات فإنه حالة من السكون والاستغراق . . اهدأ واسكن وأمسك جوارحك واسبح مع الآيات وهي ترتقي بك إلى الله . .

إن أسرار القرآن لا توهب إلا لمن كان في حالة إنصات وسكون وتأمل وتفكر . . ليحظى برحمة الله .

ومن فضل الله وكرمه أن يعد عباده بالحياة الطيبة في الدارين : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] إن توفر الشرطان : الإيمان والعمل الصالح (أي : الإخلاص والصواب) . . فيا من تشتكون من شقاء الحياة دققوا وافحصوا أنفسكم وأعمالكم . . وتأملوا قول إقبال (على لسان الله كما تخيل) :

عطـايـانـا سحـائـب مـرسـلات . .   ولكـــن مـــا وجـــدنـــا الســـائلينـــا
تجلّـي النـور فـوق الطـور بـاقٍ . .   فهل وُجد الكليم بطور سينا . . ؟!

٣ـ إجابة الدعاء وكشف العذاب (النجاة)

وقد سجلت في هذا المجال ثلاثة عشر موضعاً :

الأنفال : الآية : ٣٣ـ **يونس** : الآية : ٩٨ـ والآية : ١٠٣ـ **يوسف** : الآية : ٣٤ـ **الأنبياء** : الآية : ٧٦ـ والآية : ٨٤ ـ والآية : ٨٨ ـ والآية : ٩٠ـ **النور** : الآية ٢٦ـ **النمل** : الآية : ٦٢ـ **الصافات** : الآيات من ٧٦ إلى ٨١ ـ **فصلت** : الآية : ١٨ـ **الشورى** : الآية : ٢٦ .

ـ وقارىء الآيات (٢٥ و٢٦) من سورة الشورى يعجب من بلاغة القرآن وروعة التعبير فيه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ فهاهم عباد الله قد عادوا إلى ربهم تائبين . . والله يلقاهم بالقبول والعفو . . « ويستجيب الذين آمنوا » ؟! « ويزيدهم من فضله » فمن الذين يستجيب ؟! كأن الله يضم عباده إليه في هذا السياق . . فهم يستجيبون لربهم . . وربهم يستجيب لهم ويزيدهم من فضله . . فما أعظم هذا الإكرام . . وما أرقى هذه الحفاوة الربانية . . !!

٤ـ إعطاء العلم والحكمة والتذكر والرشاد

وقد سجلت من الآيات في هذا المجال ستة مواضع :

البقرة : الآية : ١٨٦ـ والآية : ١٨٩ ـ والآية : ٢٦٩ـ **آل عمران** : الآية : ٧ـ **يوسف** : ٢٢ **القصص** : الآية : ١٤ .

ـ ففي سؤال الصحابة عن الأهلة . . ما بال القمر يكون هلالاً ثم يكتمل بدراً ثم يعود هلالاً . .

يأتي الجواب الإلهي معلماً للناس عن الحكمة من ذلك. . ويستنكر عادة الجاهليين في الدخول إلى البيوت من ظهورها إن عادوا من الحج. . وينقل الموضوع من أمر خاص إلى قاعدة عامة مليئة بالحكمة وتقتضي من المؤمن أن يستنفر ذكاءه بالدخول الفني لعلاج المشاكل. . ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٩] ـ إن الاجتهاد في تحصيل المعرفة والحكمة والانتباه إلى سنن الله حتى لا تصطدم بها ـ وهو معنى التقوى ـ يحميك من خيبة من يدخل البيت من خلفه. . من جهل الذين يقتحمون المشاكل دون أن يبحثوا عن مفاتيحها. . وما أعظم فلاح من كشف قوانين الله وقام بالأسباب المناسبة. . ذاك هو الفلاح .

ولنتأمل : هل كان الصحابة سيستفيدون لو أعطاهم الله جواباً فلكياً عن حركة القمر وشكله. . ؟!

فما أعظم الجواب الذي قدمه الله لهم. . لأنه مرتبط بحياتهم وعبادتهم . وأما الفلك فسيدرسه الناس فيما بعد .

٥ـ إعطاء من الرزق والقوة :

وقد أحصيت لها ستة مواضع. . فهي لا تقل أهمية عن العلم والحكمة والرشاد .

المائدة : الآية : ٦٦ـ **الأنفال** : الآية : ٧٠ـ **هود** : الآية : ٣ـ والاية : ٥٢ـ **طه** : الآية : ١٣٢ **نوح** : الآيات من ١٠ إلى ١٢ .

ـ إن الله أنزل الدين على الناس لجعل حياتهم تسير على أحسن وجه. . وإن الله الذي خلق الإنسان يعلم حاجاته ورغباته فلم يجعل الدين مثالياً يتجاهل رغباته الدنيوية التي لا تدمره ولا عدوان فيها على كيان الآخرين. . ولهذا يأتي

خطاب الله لأهل الكتاب : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٦٦] .

ويخاطب المسلمين أيضاً : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢] .

ـ واحذر أيها المؤمن من أن يشغلك طلب الرزق عن عبادتك وتوجيه أهلك ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢] وهذا لا يعني ترك السعي في طلب الحلال فالله يرزق وفق سننه التي وضعها للحصول على الرزق . . وسيأتي شرح ذلك في سنن استخلاف الإنسان . .

٦ـ الزيادة في النعم بالشكر وبالطهارة :

وذلك في أربع مواضع مما أحصيت :

المائدة : الآية : ٦ـ **إبراهيم** : الآية : ٧ـ **الزمر** : الآية : ٧ـ **القمر** : الآيتان : ٣٤ و٣٥ .

فالقرآن يعقب على الأمر بالوضوء والاغتسال والتيمم ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] فالطهارة والنظافة هي من إتمام النعمة على المؤمنين . فمن شكر فإنما يشكر لنفسه . . لأن الشكر يفرغ السكينة على القلب ويملؤه بالرضى وهذا أول النعمة وتأتي بعدها الزيادة : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

فهو إعلان واضح وبلاغ من الله لعباده عن السنة في زيادة النعم . . والشكر لا يكون باللسان فقط . . ولكن ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] . . قليل من عباد الله من يشكر الشكر الحقيقي للنعم . . الشكر بتفعيل

النعمة وتسخيرها لخدمة الناس . . لا بد من تسخير النعم في إحسان أداء دور الخلافة في الأرض وعندها يحصل النمو والزيادة وتزدهر الحياة الإنسانية على الأرض .

٢ـ سنن النصر : (للصابرين والمبادرين)

وقد رأيتها في عشرين موضعاً من القرآن :

البقرة : الآية : ٢٤٩ـ **آل عمران** : الآية : ١٣ـ **المائدة** : الآية : ٢٣ـ والآية : ٥٦ـ **الأنعام** : الآية : ٣٤ **الأنفال** : الآية : ٤٥ـ **يوسف** : الآية : ١١٠ـ **الحج** : الآية : ٤٠ـ والآية : ٦٠ـ **القصص** : الآية : ٣٥ـ **الروم** : الآيات من ٤ إلى ٦ـ **يس** : الآيتان ٧٤ و٧٥ـ **الصافات** : الآيات من ١٧١ إلى ١٧٣ـ **غافر** : الآية : ٥١ـ **محمد** : الآية : ٧ـ **المجادلة** : الآية : ٢١ـ والآية : ٢٢ـ **الصف** : الآيتان : ١٣ و١٤ .

ـ فالنصر يأتي للمؤمنين الصابرين : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] وانتصر المؤمنون على جالوت المدجج بالسلاح رغم قلتهم .

ـ والأهداف النبيلة تلعب دوراً هاماً في الغلبة والنصر : ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ . . ﴾ [آل عمران : ١٣] .

ـ والمبادرون لا يتلكأون ولا يترددون ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] وكثيراً ما يكون الإقدام ومباغته العدو من حيث لا يتوقع ـ ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ هجوم مباشر على جهة ظنها العدو آمنة ـ هجوم سريع مباغت . . يحقق نصراً على نفوس مسترخية .

ـ وليس النصر المقصود نصراً في معركة وبالسلاح فقط.. بل هو نصر الثبات والبقاء لأفضل الطرفين.. ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ.. ﴾ [الأنعام : ٣٤] وكما قال الله تعالى لموسى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص : ٣٥] إن اتباع آيات الله هو السبيل إلى البقاء والنصر على الآخرين.

ـ وقد تختلط الأمور على الناس فينضمون إلى الأقوى ولو كان ظالماً رغبة في الانتصار وحماية الذات.. لكن الأمور تأتي على عكس ما يتوهمون.. ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ [يس : ٧٤ـ ٧٥].. وكم من الناس تاهوا وراء الطغاة وجندوا أنفسهم في صفهم ظناً منهم أن الطغاة ينصرونهم.. لكن الحقيقة تأتي على عكس ما تصوروا.. فإن الطغاة ما انتصروا إلا بهؤلاء الجنود المشركين والمستضعفين.. فمن الذي ينصر الآخر..؟! وسيأتي اليوم الذي ينتهي فيه دور هؤلاء العملاء المغفلين فيصبحون عبئاً على الطغاة.. وسرعان ما ينبذونهم ويتخلصون منهم.. ألم تر ما فعلوا بصدام حسين..؟! وأمثاله كثيرون.. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

٣ـ الفلاح بطاعة الله ورسوله والتزام صفات المؤمنين :

وقد سجلت في هذا المجال أكثر من عشرين موضعاً في القرآن :

البقرة : الآيات من ٢ إلى ٥ـ **آل عمران** : الآية : ١٠٤ـ والآية : ١١٤ـ **الأعراف** : ٦٩ـ **المائدة** : الآية : ٩٠ـ والآية : ١٠٠ـ **الأعراف** : الآية : ١٥٧ـ **النحل** : الآية : ١١٦ـ **الحج** : الآية : ٧٧ـ **المؤمنون** : الآيات من ١ إلى ٩ـ **الأنفال** : ٤٥ـ **النور** : الآية : ٥١ـ والآية : ٥٢ـ **الروم** : الآية : ٣٨ـ

لقمان : الآيتان : ٤ و٥ـ **الأحزاب** : الآية : ٧١ـ **فاطر** : الآيتان : ٢٩ و٣٠ـ **الفتح** : الآية : ١٦ـ والآية : ٢٩ـ **الحديد** : الآية : ٧ـ **الجمعة** : ١٠ـ **الانشقاق** : الآية : ٢٥ـ **العصر** :

ـ إن الله ورسوله لا يأمران إلا بما فيه الخير للإنسان والأمة ـ وإنما حرَّما الخبيث :

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٠] وإن أولي الألباب هم الذين يدركون أضرار الخبيث وبركات الطيب. . فلا تغرهم كثرة الخبيث وطغيانه ويعلمون أنه يجر أصحابه إلى الهاوية. . مما يرسخ التقوى في قلوبهم وأعمالهم. . إن سنن الله تبدو كالمعادلات الرياضية. . فالآية هنا تعطينا معادلة : [أولوا الألباب + تقوى يعطي فلاح] . إنها قواعد الحياة الإنسانية .

ـ وأحياناً تعرف الأمور بعرض أضدادها. . كما نرى في الآية ١١٦ من سورة النحل : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ إنها صورة للخاسرين الذين لا يفلحون لأنهم استبدلوا طاعة الله بالافتراء عليه والاعتداء على حاكميته. .

ـ وتفتتح سورة (المؤمنون) برسم صورة وضيئة نابضة بالخير والالتزام. . لنماذج من المفلحين :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ .

ـ وانظر إلى الصورة القوية المليئة بالتمكين التي ترسمها الآية ٢٩ من سورة الفتح للنبي وأتباعه :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يشبههم بزرع أنبت فروعه ونما حتى تمكن ورسخت جذوره في الأرض ووقف شامخاً بسوقه فوق الأرض . . فهو مصدر سعادة وإعجاب للذين تعبوا في زرعه ورعايته . . بينما يتميز الكفار غيظاً برؤيتهم . . ولك أن تعجب وأنت تتأمل صورة هؤلاء الأشداء الرحماء . . الركع السجود . . حتى أن وجوههم تنطق بوضاءة السجود . . إنهم دعاة إلى الخير ذاكرين لآلاء الله ونعمه . . ثابتين في وجه الشدائد ذاكرين الله كثيراً . . وكلها أسباب للفلاح في الدنيا قبل الآخرة .

٤ ـ الفلاح ثمرة الصبر والمصابرة

وقد لاحظت في هذا المجال سبعة مواضع من القرآن .

آل عمران : الآية : ١٢٠ ـ والآية : ٢٠٠ ـ **هود** : الآية : ٤٩ ـ **يوسف** : الآية : ٩٠ ـ **النحل** : الآية : ٤١ ـ **القصص** : الآيتان ٥٣ و٥٤ ـ **فصلت** : الآية : ٣٥ .

ـ وأبرز مثال يظهر في ختام سورة آل عمران : (الآية : ٢٠٠) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . . إنها معادلة محكمة للفلاح في الدنيا : [صبر + مصابرة + مرابطة + تقوى يعطي الفلاح]

الصبر : إمساك النفس وإلزامها بالخير . . وليس هو الذل الذي يظنه

المسلمون الآن بسكوتهم على الأخطاء والمظالم. . بل هو الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق والحب وضمن أدب الإيمان .

والمصابرة : هي مواجهة صمود الآخر بصمود أقوى . . فلا يغلبك بتمسكه بما هو عليه . . بل تغلبه بصبرك .

والمرابطة هي الثبات في حراسة حدود الإسلام وثغور المسلمين . . المرابطة أن تسهر وتبذل جهدك في بيان آيات الله وتحرسها ممن يحاولون تشويهها والتلاعب بمعانيها . . المرابطة استنفار وثبات وإحساس بالمسؤولية وبذل الجهد في رعاية ما استأمنك الله عليه . . إنها عكس الرحيل والفرار أمام المشاكل والأزمات . . المرابطة أمر عظيم غفل عنه المسلمون في هذا الزمان . . فواحسرتاه .

وأما التقوى : فهي خشية في القلب تدفعك إلى دراسة سنن الله ومعرفة أسباب الفلاح والقيام بها . . فكيف لا تؤتي هذه الصفات أكلها . . ؟! ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود : ٤٩] .

٥ـ الفلاح لمن زكى نفسه بالتوبة والإنفاق : وذلك في ثمانية مواضع :

آل عمران : الآية : ٩٢ـ **التوبة** : الآية : ٣ـ والآية : ٧٤ـ **النور** : الآية : ٣١ـ **القصص** : الآية : ٦٧ـ **الحشر** : الآية : ٩ـ **التغابن** : الآية : ١٦ـ **الشمس** : الآيتان ٩ و١٠ .

ـ الإنفاق مما تحب أمر يحتاج إلى جهاد للنفس وتطهير لها من الأنانية والأثرة : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٩٢] فمن ارتقى إلى ذلك استحق الفلاح ونال البر .

ـ وأما التوبة فهي رحلة تصاعدية في حياة المؤمن تحتاج إلى ضمير حي ويقظة مستمرة . . وهي التدريب المستمر على الارتقاء ولهذا أفردها الله في

إحدى السور الطوال لخطورة آثارها وفضل الممارسين لها . .

يا معشر المسلمين إن التوبة هي التصحيح المستمر والسعي لأخذ ما استجد من علم وخير وترك ما فات أوانه . . وليست هي ترداد كلمات التوبة مئات المرات بلا وعي ولا تدبر . .

❊ ❊ ❊

باب محبة الله ومعيته

وفيه أربعة عناوين : ١ـ الحصول على محبة الله . ٢ـ الحصول على معية الله . ٣ـ الحماية من كيد الأعداء . ٤ـ الحماية من الغفلة والنسيان :

١ـ الحصول على محبة الله :

وذلك من خلال استعراض الآيات التي تتحدث عمن يحبهم الله ومن لا يحبهم. . وذلك في أربعة وثلاثين موضعاً :

البقرة : الآية : ١٩٥ـ والآية : ٢٧٦ـ **آل عمران** : الآية : ٣١ و٣٢ـ والآية : ٧٦ـ والآية : ١٣٤ـ والآية : ١٤٠ـ والآية : ١٤٦ـ والآية : ١٤٨ـ والآية : ١٥٩ـ **النساء** : الآية : ٣٦ـ والآية : ١٠٧ـ **المائدة** : الآية : ١٣ـ والآية : ٤٢ـ والآية : ٨٧ ـ والآية : ٩٣ـ **الأنعام** : الآية : ١٤١ـ **الأعراف** : الآية : ٣١ـ والآية : ٥٥ـ **الأنفال** : الآية : ٥٨ـ **التوبة** : الآية : ٤ـ والآية : ٧ـ والآية : ١٠٨ـ **النحل** : الآية : ٢٣ـ **مريم** : الآية : ٩٦ـ **الحج** : الآية : ٣٨ـ **القصص** : الآية : ٧٦ـ والآية : ٧٧ـ **الروم** : الآية : ٤٥ـ **لقمان** : الآية : ١٨ـ **الشورى** : الآية : ٤٠ـ **الحجرات** : الآية : ٩ـ **الحديد** : الآية : ٢٣ـ **الممتحنة** : الآية : ٨ ـ **الصف** : الآية : ٤ .

من أروع الأساليب في الخطاب القرآني أن يضرب على وتر المحبة فهو يرغب بالأعمال الصالحة لأنها طريق إلى محبة الله وينفر من السيئات لأنها حرمان من حب الله ورعايته. . وهل هناك ما هو أعظم على قلب المؤمن من أن يحظى بحب الله. . ؟! إنه مستعد لبذل جهده كي يتحلى بالعطاء والإحسان في

علاقاته مع الناس لأن الله يحب المحسنين.. وسيحرص على الوفاء بالعهد والتقوى لأن: ﴿ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].. وتأمل هذه الصفات كم تحتاج إلى مجاهدة وكبح للمشاعر والرغبات:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

لكن حلاوة حب الله في القلب تغلب كل مشقة.. بل تصبح المشقة مصدر سعادة لأنها طريق السمو والارتقاء وطريق الوصول إلى الله.. وسيصبح الصبر المر جميلاً لأن ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ـ ولنتأمل الآية: ١٥٩ من آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

شدوا العزيمة يا عباد الله.. وتعلموا من رسول الله كيف جمع بين أرقى رحمة وليونة.. مع احترام لآراء أصحابه.. مع العزم والحزم وحسن التوكل على الله.

٢ـ الحصول على معية الله:

وقد أحصيت في هذا المجال آيات في أربعة عشر موضعاً:

البقرة: الآية: ١٥٣ـ والآية: ١٩٤ـ والآية: ٢٤٩ـ **المائدة**: الآية: ١٢ـ **الأنفال**: الآية: ١٩ـ والآية: ٤٦ـ **التوبة**: الآية: ٣٦ـ والآية: ١٢٣ـ **النحل**: الآية: ١٢٨ـ **طه**: الآية: ٤٦ـ **العنكبوت**: الآية: ٦٩ـ **الجاثية**: الآية: ١٩ـ **محمد**: الآية: ٣٥ـ **الشعراء**: ٦٢.

ـ هل تذوقت مرة هذا الإحساس: أن تشعر بأن الله معك ويتكفل بأمورك..؟! انظر إلى إحساس موسى ويقينه عندما أدركه فرعون وجنوده

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

لن تحس بمعية الله حتى تكون من الصابرين أو المتقين أو المحسنين.. فإن أكثر الآيات تثبت معية الله لمن اتصف بهذه الصفات.. تأمل الآية: ١٢ من سورة المائدة واجتهد في تحقيق هذه الصفات:

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ...﴾.

ولقد قدم الله الجائزة قبل أن يذكر المطلوب من الأعمال ﴿إني معكم﴾ ومن كان الله معه فأي شيء يخشاه..؟! إنه يحيى على الأرض وقد حفت به السكينة وملأته الطمأنينة.. ولكن لا بد من الإيمان بالرسل وتعظيمهم ونصرتهم والإلتزام بأوامرهم..

٣ـ الحماية من كيد الأعداء والشيطان: (ورعاية أبناء الصالحين)

وقد لاحظت ذلك في خمسة وعشرين موضعاً من القرآن:

النساء: الآية: ٢٧ـ والآية: ١٠١ـ **يوسف**: الآية: ٢٤ـ **إبراهيم**: الآية: ٢٧ـ **الحجر**: الآية: ٤٢ـ والآيتان: ٩٤ و٩٥ـ **النحل**: الآية: ٩٩ـ **الإسراء**: الآية: ٦٥ـ والآيتان: ٧٦ و٧٧ـ **الكهف**: الآية: ٨٢ـ **الحج**: الآية: ٣٨ـ **الشعراء**: الآية: ٦٥ـ والآية: ١٧٠ـ **النمل**: الآية: ٥٣ـ والآية: ٥٧ـ **العنكبوت**: الآية: ١٥ـ **الأحزاب**: الآية: ٢٥ـ **غافر**: الآية: ٤٥ـ **الفتح**: الآية: ٢٠ـ **المجادلة**: الآية: ٢٢ **الطلاق**: الآية: ٣ـ **الفلق**: الآيتان ٣ و٤ـ الناس: الآية: ٤.

ـ وإن أشد ما يمكن أن يتعرض المؤمن له من أذى هو كيد الشيطان

وإغواؤه. . فإذا بيد الله الحانية تتعهد بحمايته : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤٢]. . كن من عباد الله ولا تخش شيئاً طالماً أنك يقظ العقل منتبه إلى سنن الله تقوم بالأسباب محتسباً رضى الله .

بل إن الله قد تكفل برعاية أولادك من بعدك وحفظ مصالحهم. . ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى . . . ﴾ [الكهف : ٨٢] .

٤ـ الحماية من الغفلة والنسيان : (التذكر) . وذلك في تسعة مواضع :

البقرة : الآية : ٦٣ـ **آل عمران** : الآية : ١٠٣ـ **الأعراف** : الآية : ٦٩ـ **المزمل** : الآية : ١٩ـ **المدثر** : الآيتان ٥٤ و٥٥ـ **الإنسان** : الآية : ٢٩ـ **عبس** : الآيتان : ٣ و٤ـ والآيتان : ١١ و١٢ـ **التكوير** : ٢٨ .

ـ إن الاهتمام وأخذ الكتاب بقوة. . بتقدير ورغبة في التنفيذ لنيل بركات الكتاب يمنحك التذكر ويبعدك عن الغفلة ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٦٣] .

ـ وتأمل الآية ٦٩ من الأعراف : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

إن الله يسمى ما أنزل على الأنبياء : ﴿ذكر من ربكم﴾ وقد أنزله حماية لكم من الغفلة والانزلاق إلى طريق الضلال. . والله يريد لكم أن تنتفعوا برسالاته لتكونوا من المفلحين. .

وهكذا تنبه الآيات السابقة من المزمل إلى التكوير. . على أن القرآن تذكره لمن شاء أن يتذكر ويستفيد. . فالإنسان هو الذي يختار مصيره. .

الفصل الثاني

سنن استخلاف الإنسان

الباب الأول: سنن تتعلق بطبائع الإنسان

١ـ سنن مساعدة :

تساعد الإنسان على القيام بدوره في الخلافة.. ونرى ذلك في خمسة مجالات :

١ـ الإنسان فطر على الإيمان :

الأعراف : الآية : ١٧٢ـ **الروم** : الآية : ٣٠ـ **التين** : الآية : ٤ .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي : لديه الاستعداد للارتقاء وإصلاح الحياة والأرض .

هكذا خلق على الخير والإيمان : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

٢ـ سخر له ما في السموات والأرض والليل والنهار :

البقرة : الآية : ٢٢ـ **الحج** : الآية : ٦٥ـ **إبراهيم** : الآيتان : ٣٢ و٣٣ـ **النحل** : الآية : ١٢ـ **الفرقان** : الآية : ٤٧ـ **النبأ** : الآيتان : ١٠ و١١ .

هذا التسخير من الله لمساعدة الإنسان على عمار الأرض وبناء الحضارات وتحصيل الأرزاق .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم : ٣٢ـ ٣٣]. . فالكون كله مبرمج ليعين الإنسان على أداء دوره : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ : ١٠ـ ١١] .

٣ـ يحب الكفاح والكبد وأعطي ما يعينه على ذلك :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۞ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۞ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۞ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۞ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد : ٤ـ ١١] .

٤ـ خلق على درجات (تنوع المواهب) : [الزخرف : ٣٢] .

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ تنوع المواهب يضمن حياة متكاملة . . بحيث يؤدي كل فرد ما يتقنه . .

٥ـ ضمان الحاجات الأساسية للإنسان : ونرى ذلك بشكل جلي في ما تعرضه سورة النحل من نعم الله . . وفي سورة قريش : ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ .

٢ـ سنن حيادية :

لغة الجسد : سيمياء الوجه والحركات والهيئة . . تكشف عما في النفس من إيمان أو نفاق وقد لاحظت ذلك في خمسة مواضع من القرآن :

البقرة : الآية : ٢٧٣ـ **التوبة** : الآية : ٩٢ـ والآية : ١٢٧ـ **الفتح** : الآية : ٢٩ـ **المنافقون** : ٤ .

ـ فانظر إلى الفقراء المتعففين الذين يسترون حاجتهم كما يستر الإنسان

عورته.. لكن سيماهم تنطق وتكشف للَّبيب عوزهم ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

ـ وانظر إلى المنافقين كيف تفضحهم حركاتهم : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٧] .

ـ وأحياناً يخدع المرء بحسن مظهرهم وحديثهم.. لكن الأحداث سرعان ما تكشف ارتجافهم وهشاشة جوهرهم ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون : ٤] .

وتأمل صورة أصحاب النبي ـ على النقيض من السابقين ـ في رسوخهم في التقوى والاستقامة ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

٣ـ سنن سلبية :

وهي كثيرة وتحتاج من الإنسان إلى مجاهدة لأنها ثغرات يدخل منها الشيطان لفتنة الإنسان وقد لاحظت منها عشرة عناوين :

١ـ الإنسان عجول : وذلك في ثلاثة مواضع :

الإسراء : الآية : ١١ـ **الأنبياء** : الآية : ٣٧ـ **الفجر** : الآيتان : ١٥ و١٦ حيث تكشف الآيات عن اغترار الإنسان بالنتائج السريعة ويظن أنها غاية المطاف : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾ .

٢ـ ويحب الجدل : [الكهف : ٥٤] : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن

﴿ كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ ويجادل عن نفسه وإن كان يعلم في قرارة نفسه أنه مخطىء [القيامة : ١٤ـ ١٥] .

٣ـ يحب المال وينغمس فيه ويبخل عن بذله :

الإسراء : الآية : ١٠٠ـ **العاديات** : الآية : ٨ ـ **التكاثر** : الآية : ١ ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ .

٤ـ وهو ظلوم جهول : **الأحزاب** : الآية : ٧٢ وذلك بأنه لا يقدر ثقل الأمانة التي حملها حين كلف بالخلافة ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ .

٥ـ نفسه أمارة بالسوء وقد يضعف أمامها :

النساء : الآية : ٢٨ـ **يوسف** : الآية : ٥٣ـ ويتأثر بالحسد : **الفلق** : الآية : ٥ .

٦ـ ضعفه يقوي المستكبر (حالة الاستضعاف التي تدعم المستكبر وتمكنه من ممارسة الظلم) .

الزخرف : الآية : ٥٤ـ **الجن** : الآية : ٦ـ **المطففين** : الآية : ٢٩ .

انظر إلى فرعون كيف يتطاول ويدعي أنه مالك الملك لأنه يعرف خنوع الناس . . أموات غير أحياء . . ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤] .

٧ـ فيه جحود مع ربه فالأكثرية كافرة : ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾ .

يوسف : الآية : ١٠٣ـ والآية : ١٠٦ـ **النمل** : الآية : ١٤ـ **العاديات** : الآية : ٦ـ **لقمان** : الآية : ٣٢ .

٨ ـ وهو يؤوس قنوط : **فصلت** : الآيتان : ٤٩ و٥٠ـ **الزمر** : الآية : ٨ ـ **الشورى** : الآيتان ٤٨ و٤٩ .

٩ـ يطغى ويغفل عند النعمة ويتضرع عند الشدة . . وهو فرح فخور :

يونس : الآية : ١٢ـ والآيتان : ٢٢ و٢٣ـ هود : الآية : ٩ـ **الروم** : الآية : ٣٣ـ **فصلت** : ٥١ **العلق** : الآية : ٦ـ وهو فرح فخور : **هود** : الآية : ١٠ـ **الإسراء** : الآية : ٨٢ ـ ص : ٢ـ **المعارج** : الآية : ٢١ـ **التين** : الآية : ٥ـ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦ـ ٧] .

١٠ـ يعادي الجديد (الآبائية) : **الشعراء** : الآية : ٧٤ـ **الزخرف** : الآية : ٢٣ .

وهي صفة تعطل كل تقدم وتبقى الأمم في حالة ركود وجمود وتفقد الحياة الإنسانية جوهرها المبني على الارتقاء والتطور . . وفي الحقيقة إن موضوع الإلف يحتاج إلى تحليل وتحديد . . إذ أن الابتكار الجديد يُحارَب من الناس فترة . . ثم ينتشر ويسود ويصبح إلفاً يؤدي دوراً إيجابياً في تحقيق المنفعة للأمة . . إلى أن يأتي ما هو أفضل من هذا الإلف . . ويُحارَب من جديد . . لكنه سينتصر إن كان هو الأنفع ولو بعد حين .

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

٤ـ سنن إيجابية :

وهي منطلقات ممتازة زود بها الإنسان كركائز للإقلاع نحو بناء الإنسان الخليفة في الأرض .

وقد لاحظت منها :

١ـ خلق الإنسان في أحسن تقويم كما تقرر الآية الرابعة من سورة التين . . وكما ورد في سورة الانفطار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الإنفطار : ٦ـ ٧] .

٢ـ وأعطي امتياز العلم والقدرة على التعلم : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ . . ﴾ [البقرة : ٣١] .

٣ـ يعرف خطأ نفسه فيتوب ويستغفر : كما نرى في كل السور التي تعرض قصة آدم ومنها الأعراف ٢٣ .

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

وقد يكابر الإنسان فيدافع عن نفسه ويجد لها الأعذار . . لكنه في قرارة نفسه يعرف خطأه . .

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٤ـ ١٥] .

فلئن كانت نفسه أمارة بالسوء في بعض الأحيان . . فإنها تلومه في أحيان أخرى على الخطأ والغفلة فهي :

٤ـ النفس اللوامة التي أقسم الله بها تشريفاً وتكريماً لها : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ إنها جهاز نفسي دقيق يستعصي على تمرير الخطأ . . وهي المؤشر الداخلي الذي لا يرحم في الإدانة . .

٥ـ يحتاج إلى الأسوة الحسنة وينتفع بها . . ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وكما قال في الآية الرابعة من سورة الممتحنة : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ . . ﴾ .

٦ـ يتعلم ويعالج بالصفح والسلام : ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٩] .

٧ـ أعطي حرية الاختيار كما تنص سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ .

٨ ـ بل أعطي القدرة على التطهر والتوق إلى الارتقاء كما قال يوسف في مواجهة الإغواء . . ﴿ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ . . ﴾ ولا يزال الارتقاء ماض مع المؤمن حتى يبلغ مرتبة ﴿النفس المطمئنة﴾ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۞ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۞ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر : ٢٧ـ ٣٠] .

وبعد تأمل الآيات التي تتحدث عن طبائع الإنسان . نلاحظ بوضوح أن السنن السلبية هي أقل من باقي السنن : الإيجابية والمساعدة وحتى الحيادية فإنها تساهم في دعم الإنسان الخليفة وتسهيل أدائه لدوره . . وذلك من رحمة الله وحبه لهذا الإنسان وعونه وتكريمه .

كذلك نلاحظ أن الإنسان قد أعطي الخيار والاقتدار على تطوير السيء منها حتى يكف تأثيره . . وتنمية الجوانب الجيدة حتى يعود الإنسان إلى أحسن تقويم . . ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ هكذا خلق الله النفس البشرية باستعدادات متنوعة . . لكن الإنسان هو الذي يحدد مساره ويختار هويته وطريقه ـ (سورة الشمس) . ولئن كان الإنسان يرغب في الاسترخاء والاستسلام للشهوات . . فإنه يحب التميز والارتقاء وأن يكون له دور ريادي بين سائر المخلوقات . . ولهذا نجد الله يصور لنا حسرة الذين كفروا أن حرموا من هذا الامتياز ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر : ٢] .

❊ ❊ ❊

الباب الثاني : سنن الاستخلاف

والآيات المتعلقة بهذا الموضوع تدور مع الإنسان في مجالات عديدة لإعداده لهذا الدور الجليل الذي خلق من أجله.. وقد رأيت بعد تأمل أن أتناول الموضوع وفق الترتيب التالي :

١ـ رسالة الإنسان الخلافة في الأرض .

٢ـ مركزية التوحيد وترتيب الأولويات .

٣ـ مسؤولية الإنسان عن نفسه (أنت تملك مصيرك) .

٤ـ خطورة نقص العلم وأهمية الدعوة والتبليغ .

٥ـ سنن الإنجاز وأخلاقه .

٦ـ سنن تدوير الأعمال (المعطي هو الرابح والماكر يمكر بنفسه) .

وسأتتبع الآيات بحسب هذه العناوين :

١ـ رسالة الإنسان الخلافة في الأرض .

وهي القصة التي تعرض في كثير من سور القرآن.. قصة خلق آدم ليكون خليفة في الأرض . خلق لهذا الذور وأعطي كل المؤهلات اللازمة وهيئت له كل الظروف للنجاح في هذه المهمة بشرط أن ينتبه لها ويدرك أنها مصدر كرامته وتكريمه على سائر مخلوقات الله.. والآيات التالية تشير إلى ذلك :

البقرة : الآية : ٣٠ـ **يونس** : الآية : ١٤ـ **يوسف** : الآية : ٥٦ـ **الأحزاب** : الآية : ٧٢ـ **فاطر** : الآية : ٣٩ـ **ص** : الآية : ٢٦ـ **عبس** : الآية : ٢٣ .

ـ فهي الأمانة التي تعجز السماوات والأرض والجبال عن حملها . . لكن الإنسان حملها لأنه يملك المؤهلات اللازمة لأدائها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . . ظلم نفسه حين بخسها حقها وجهل الغاية من خلقه . . فقضى على نفسه باللهو والعبث واللامبالاة . . ولهذا حذره الله ووجه إليه اللوم على إهماله وتقصيره . . ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ [عبس : ٢٣] .

وأول ما ينبغي للإنسان الخليفة أن ينتبه له هو :

٢ـ مركزية التوحيد وترتيب الأولويات :

الله أهم من كل ما عداه في نفسه . . الله أولاً وقبل كل أقربائه . . وقبل دنياه وتجارته وأملاكه . .

التوبة : الآية : ٢٤ . . وذلك أن الأموال والأولاد لن تغني عنك شيئاً وليست السبب الأول في نجاحك في الدنيا قبل الآخرة : **آل عمران** : الآيات من ١٠ إلى ١٣ .

وذلك بأن الكون والحياة وكل الخلق قائمين بأمر الله وعلى سننه . . فكيف ينجح من نأى عن ربه . . ؟!

الحج : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ . . ﴾ [٣٠] .

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [٣١] إن من لا يعظم سنن الله وقوانينه ولا يلتزم بها . . لا بد أن يسقط مع أوهامه . . وتخطفه شياطين الإنس والجن . . أو تهوى به رياح الهوى والشهوات إلى أسفل سافلين . .

ـ وحين تكون الأولوية في نفسك لغير الله . . للمال أو الأولاد فإنك لا بد خاسر . . ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [نوح : ٢١]

ألم تر ما حل بأبي لهب ؟! ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد] .

ـ ألم تعلم أن سنن الله تعصمك وتهديك إلى أفضل طريق ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠١] وأن القرآن يوصلك إلى الحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة :

النحل : الآية : ٩٧ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

أليس هذا أفضل من اتباع الهوى ؟! ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وكثيراً ما يحاول الإنسان التملص والدفاع عن نفسه بأن ظروفه منعته ودفعته . . وأن الناس غرروا به . . والرؤساء والحكام . . والشيطان . . والحظ . . وقدر الله حتى . . فيأتي الرد :

٣ـ مسؤولية الإنسان عن نفسه : (أنت تملك مصيرك)

وقد أحصيت في هذا المجال قريباً من خمسين آية :

آل عمران : الآية : ٦٩ـ **النساء** : الآية : ٧٩ـ والآية : ١١ـ والآية : ١١٣ـ **المائدة** : الآية : ١٠٥ـ **الأنعام** : الآية : ٢٦ـ والآية : ١٠٤ـ والآية : ١٢٣ـ والآية : ١٦٤ـ **يونس** : الآية : ١٠٨ـ **هود** : الآية : ١٠١ـ **إبراهيم** : الآية : ٢٢ـ **النحل** : ٣٣ـ والآيتان : ٩٩ و١٠٠ـ **الإسراء** : الآية : ٧ـ والآية : ١٥ـ والآية : ٦٥ـ **الحج** : الآية : ١٠ـ **النمل** : الآية : ٤٠ ـ والآية : ٩٢ـ **العنكبوت** : الآية : ٦ـ **الروم** : الآية : ٣٦ـ والآية : ٤٤ـ **لقمان** : الآية : ١٢ـ **سبأ** : الآية : ٥٠ـ **فاطر** : الآية : ١٨ـ والآية : ٣٢ـ **يس** : الآية : ١٩ـ **ص** :

الآيتان : ٨٢ و٨٣ ـ **الزمر** : الآية : ٤١ـ **فصلت** : الآية : ٤٦ـ **الشورى** : الآية : ٣٠ـ والآية : ٣٤ـ والآية : ٤٨ـ **الجاثية** : الآية : ١٥ـ **محمد** : الآية : ٣٨ـ **الفتح** : الآية : ١٠ـ **المزمل** : الآية : ١٩ـ **المدثر** : الآية : ٣٧ـ والآية : ٣٨ـ والآية : ٥٥ـ **القيامة** : الآية : ١٤ـ **الإنسان** : الآية : ٢٩ـ **عبس** : الآية : ١٢ـ **التكوير** : الآية : ٢٨ـ **الغاشية** : الآية : ٢١ـ **الشمس** : الآيتان : ٩ و١٠ـ **التين** : الآية : ٦ .

ـ إنك إن اخترت الهداية ومشيت في طريقها فلا سلطان للأشرار عليك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

ـ وتأمل في سورة هود كيف يعلق على هلاك الأمم السابقة وكيف يقرر قاعدة هامة في تقرير المصير : ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [١٠١ـ ١٠٢] .

إن قدر الله يجري وفق اختياركم . . بل إن الشيطان نفسه يتبرأ ممن تبعه : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ . . . ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

ـ ومن رحمة الله بالناس أن جعل عواقب أعمالهم تظهر في الدنيا لعلهم يكتشفون أخطاءهم ويرجعون عنها :

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم : ٤١] .

وسنن المسؤولية هذه تشمل الفرد والجماعة علماً بأن الجماعة تملك

مصيرها في الدنيا أكثر من الفرد فقد سبق أن ذكرنا أن النتائج في الدنيا جماعية وسنعود للتأكيد على ذلك في الفصل الرابع عند (نتائج الدنيا) .

٤ـ خطورة نقص العلم وأهمية الدعوة والتبليغ :

١ـ خطورة نقص العلم : ونرى ذلك فيما يلي :

التوبة : الآية : ٩٧ـ **الكهف** : الآيتان : ١٠٣ و١٠٤ـ **فاطر** : الآية : ٢٨ـ **فصلت** : الآية : ٢٣ـ **النجم** : الآية : ٢٨ ، **الحشر** : الآيتان : ١٣ و١٤ـ **الجمعة** : الآية : ٢ .

ـ إن معرفة الله وخشيته لا ينالها بأجلى صورها إلا العلماء : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] . وكلما ابتعد الإنسان عن العلم والعقل وغرق في غياهب الجهل . . ابتعد عن دين الله ومعرفته . . ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] . وإن سبب إعراض الأكثرية عن الحق هو عدم العلم به كما يقرر الله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٤] . والعلم هو الذي امتاز به آدم واستحق به أن تسجد له الملائكة حين علمه الأسماء . . فقد أعطاه القدرة على ابتكار اللغة وإطلاق الأسماء بينما عجزت الملائكة فأمرت بالسجود لآدم تكريماً وإقراراً بالفضل . وإن فقدان العلم يغرقك بالظنون حتى تكاد ترديك : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣] . .

كذلك نرى بعض الناس يغتر بما عنده من العلم القليل فيتوقف عن التقدم وقبول المزيد وهم من قال عنهم الله : ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [غافر : ٨٣] وقال عنهم أيضاً : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] .

ـ ولهذا تكون الحماية للفرد والأمة بـ :

٢ـ **الدعوة والتبليغ** : ونجد ذلك في الآيات التالية :

المائدة : الآية : ٦٧ـ **التوبة** : الآية : ١٢٢ـ **الجن** : الآيتان : ٢٢ و٢٣ .

ولهذا تطلق الآية : ١٢٢ من التوبة النفير لطلب العلم والتفقه فيه : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

٣ـ والدعوة والقيادة تحتاج إلى علم وفنية . . تكتب فيها الأبحاث في عصرنا وتشير إليها بعض الآيات فلنمض مع نبي الله لوط وقد كذبه قومه فيأمره الله : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر : ٦٥] . . يأمره بالخروج بأهله بعد أن يكون الليل قد مضى منه جزء فيخرجون في العتمة . . وأن يكون في آخرهم يمشي من بعدهم حماية لهم من أي غدر أو هجوم . . وليكن هدفكم واضحاً ويقينكم به راسخاً . . فلا يلتفت أحد عنه ولا تترددوا وامضوا حيث تؤمرون . .

ـ ويخاطب الله النبي محمداً ﷺ في أواخر سورة الصافات : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۞ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۞ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ۞ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [١٧٤ـ ١٧٩] . . تتكرر مرتين : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ . . اتركهم . . أعطهم فرصة لإعادة النظر . . الإلحاح منفر . . وربما يستفز الرفض أكثر . . اتركهم لفترة بعد أن بلغتهم . . « وأبصرهم فسوف يبصرون » . . أبصرهم . . تأمل حالهم وحاجاتهم وظروفهم . . تفهم وضعهم فإنه الطريق لكي يبصرون . . والأخيرة : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ . . اهتم بتصحيح رؤيتك . . ابدأ من نفسك . . طور ذاتك وأساليب خطابك . . فإن التغيير يبدأ من عندك . . وسوف يبصرون .

ـ وإشارة أخرى : ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٨ـ٨٩] ، بالعفو والسلام يصبح الخطاب مؤثراً . . ويمهد الطريق كي يتعلموا ويعلموا .

ـ وأخيراً : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] فابدأ من نفسك . واختيار الأحسن يحتاج إلى وعي . . وأن تسمع كل الأقوال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر : ١٧ـ١٨] .

٥ـ سنن الإنجاز :

١ـ الإحسان : ويظهر ذلك في الآيات التالية :

النحل : الآية : ٣٠ـ **النمل** : الآية : ٨٩ ـ **القصص** : الآية : ٨٤ ـ **لقمان** : الآية : ٢٢ـ **فصلت** : الآيتان ٣٤ و٣٥ .

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ٢٢] .

فالإحسان يستتبع ما هو أحسن منه من نتائج .

٢ـ الاستقامة والقيام بالأسباب : ونجد ذلك في الآيات التالية :

النحل : الآية : ٧٦ـ **الكهف** : الآيتان : ٨٤ و٨٥ ـ **الأنبياء** : الآية : ١٠٥ـ **المؤمنون** : الآية : ٦١ .

ومن ذلك أن تبدأ بنفسك وتحرض من حولك ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ [النساء : ٨٤] .

ولن تتمكن من تحريض الآخرين حتى تبدأ بنفسك فتصلحها وتلزمها . . وهذا الذي يحرض الآخرين . .

٣ـ وهذا ما يقودنا إلى أثر القدوة والصحبة الجيدة في الإرتقاء . . تفكر في الآيات التالية :

الكهف : الآية : ٢٨ـ **الأنبياء** : الآية : ٧٣ـ **السجدة** : ٢٤ـ **الأحزاب** : ٢١ـ **فصلت** : ٣٣ـ **المجادلة** : ١١ـ **الممتحنة** : ٦

ومن أجل ذلك يؤمر المؤمن بأن يصبر نفسه على صحبة المخلصين لله لأنهم التربة الخصبة لازدهار الإيمان والعمل الصالح : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

٤ـ أثر الصلاة : فهذه العلاقة الحميمة مع الله هي المحرك الذي يدفع المؤمن للعمل لبلوغ رضا الله . . . تأمل الآيات :

الفتح : الآية : ٢٩ـ **المزمل** : الآية : ٦ـ **الأعلى** : الآيتان : ١٤ و١٥ . . وخاصة قيام الليل ولهذا أُمرَ النبي :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ . . إن القرآن رسالة ثقيلة . . تتوجه بها إلى كل الناس لتغير دينهم وفكرهم وعاداتهم . . فيا له من عمل شاق يحتاج إلى نفوس قوية وعزائم راسخة شحذتها العبادة في العتمات . . وقلوب دائمة الاتصال بربها . . مارست التدريب المستمر على القيام حتى وجدت فيه راحتها وأنسها . .

٥ـ أثر الكلمة الطيبة . . وكما قال ﷺ : « إن من البيان لسحراً »[1] . . إنها السحر الحلال . . ونجدها في :

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عمر .

البقرة : الآية : ٢٦٣ـ **إبراهيم** : من ٢٤ إلى ٢٧ـ **طه** : ٤٤ـ **الحج** : ٢٤ـ **النور** : ١٥ و١٦ـ **فاطر** : ١٠ .

ـ فالقول المعروف يكون أحياناً أفضل من الصدقة : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

ـ وحتى فرعون الذي قال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ أمر الله نبيه موسى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤] .

ـ وفي سورة إبراهيم ضرب الله مثلاً للكلمة الطيبة وكيف تعطي الخير باستمرار لأنها إن أعطت أثراً في إنسان جعلت منه مصدر خير مستمر . . على عكس الكلمة الخبيثة التي ترمى وتتبدد « اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » .

ـ ووصف الله عباده في الحج [٢٤] ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ فالطريق إلى الله يبدأ من ممارسة القول الطيب .

٦ـ التوازن : في صرف المال والاعتدال بين البخل والإسراف : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ . . . ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

والتوازن بين ذكر الله والتجارة . . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ٩ـ ١٠] . تلك وصية الله : ذكرا الله أولاً . . والسعي للرزق ثانياً مع ذكر الله كثيراً . . ومن هنا ينبثق الاقتصاد الإسلامي الناجح .

٦ـ تدوير الأعمال بحيث تعود على فاعليها :

فالخير يعود على فاعله بالنفع . . والمكر يوقع صاحبه بالفخ . . وعلى الباغي تدور الدوائر . . إنها سنة عادلة من سنن الحياة . والآيات في ذلك كثيرة . . منها :

البقرة : الآية : ٢٧٢ـ والآية : ٢٨٠ـ **آل عمران** : الآية : ٦٩ـ **النساء** : الآية : ١١٣ـ **الأنعام** : الآية : ١٢٣ـ **الأنفال** : الآية : ٣٠ـ **الأنبياء** : الآية : ٧٠ـ **فاطر** : الآية : ٤٣ـ **الصافات** : الآية : ٩٨ـ **الليل** : الآية : ١٨ .

ـ تأمل الآية : ٢٧٢ من البقرة : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ . . إن للأعمال الخيرة مردوداً رائعاً من حيث الرضى النفسي الذي ينعش القلب . . وكثيراً ما يكون لها مردود مادي في الدنيا أيضاً . . لنأخذ مثلاً بسيطاً . . إنك بفعل الخير تساهم في إنعاش المجتمع وإذكاء الدوافع النبيلة فيه مما يجعلك وأسرتك محاطاً بجو اجتماعي طيب متكافل ومتراحم . . وهذا أول الجزاء بعد الرضى النفسي .

وتأتي الآية ٤٣ من فاطر لتؤكد الأمر بقوة بليغة : ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا . . . ﴾ تأمل التأكيد الشديد لهذه السنة فهي التي حكمت حياة من قبلنا . . فكم مكر الكفار بمحمد ﷺ . . وكم مكر الأشرار عبر التاريخ . . فما لبثوا أن تساقطوا فيما حفرته أيديهم . .

ـ ومن ذلك أن الصبر والمغفرة تعود على المؤمن بالارتقاء والقوة والرسوخ في مواجهة الحياة ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] فلا تقهره المصائب والعقبات . . بل كثيراً ما يتحول أعداؤه أولياء له وتنفتح له القلوب والأبواب . . هكذا يرشدنا الله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] .

والأعمال الصالحات لها رفعة في الدنيا قبل الآخرة . . وسنن الله تضمن العزة لأصحابها .

* * *

الباب الثالث : سنن الصحة النفسية

ويعتبر هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة. . إذ أن علماءنا في الماضي كانوا يعبرون عن التشوش والمرض النفسي بأنه مرض في القلب ـ بحسب تعبير القرآن ـ ولا مشكلة في تنوع المصطلحات وإنما المهم أن نفهم أعراض المرض ونبحث عن أساليب العلاج . ولا بد للخليفة ـ كي يؤدي دوره ـ من توفير أسباب الصحة النفسية والجسدية. . وقد سبق أن تحدثت عن الصحة الجسدية في كتابي : مقاصد القرآن .

ومع ذلك فقد أصبح معلوماً أن سلامة الجسد ترتبط بعلاقة جدلية مع سلامة النفس. . وسأتناول هنا بعض الوقفات مع الصحة النفسية وقد لاحظت في ذلك محورين : ١ـ إجراءات للحماية . ٢ـ وإجراءات للشفاء .

١ ـ إجراءات للحماية :

وسأتتبعها في مجالين :

١ ـ الحماية . ٢ـ ضمان سلامة المشاعر والتواصل الجيد .

١ ـ الحماية : في عدة نواحي :

أـ من الأمراض النفسية :

أـ حماية من الشح بالصلح والإحسان . ونجد نماذج من ذلك فيما يلي :

النساء : الآية : ١٢٨ـ **الحشر** : الآية : ٩ـ **التغابن** : الآية : ١٦ .

ب ـ حماية من الخداع وازدواج الشخصية (النفاق) : **البقرة** : من ٩ إلى ١٢ـ **التوبة** : ٧٧ـ **النحل** : ١٠٥ .

ج ـ ومن الكبر والشقاق : **ص** : الآية : ٢ .

د ـ ومن اليأس : **يوسف** : الآية : ٨٧ ـ **الحجر** : الآية : ٥٦ .

ك ـ الحماية من الخوف والحزن : **البقرة** : ٣٨ـ و٦٢ـ و١١٢ـ و٢٦٢ـ و٢٧٤ـ و٢٧٧ .

آل عمران : ١٥١ـ و١٥٣ـ و١٥٦ـ و١٧٠ـ **المائدة** : ٦٩ـ **الأنعام** : ٤٨ـ **الأعراف** : ٣٥ـ **يونس** : ٦٢ـ **الأنبياء** : ٨٨ ـ **فصلت** : ٣٠ـ **الأحقاف** : ١٣ـ **المجادلة** : ١٠ـ **الحشر** : ١٣ـ **الذاريات** : ٥٠ .

ـ فلنتأمل علاج الشح : ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء : ١٢٨] .

الشح النفسي كان يسيطر على الموقف بحيث يفكر كل طرف بحقوقه فقط دون مراعاة للطرف الآخر . . لكن الله الخبير بالأعمال وبما يدور في النفوس يقول لهما انتصرا على الشح الحاضر في هذا الموقف بالصلح والإحسان فإن الصلح خير من تمزيق عرى الأسرة وهدم المؤسسة الأولى في المجتمع . والحياة الأسرية والإنسانية لا تزكو ولا تنمو إلا بالإحسان فليتنافس كل طرف بمقدار ما يعطي لا بمقدار ما يسيطر ويتحكم . .

ـ وفي الآية : ٩ من الحشر يتحدث عن الأنصار : ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ . . فما أعظم هذا الانتصار بالإيثار على الشح . . يكفي أنه خلَّد ذكرهم في القرآن .

ـ ونلاحظ أن الحماية من الخوف والحزن قد نصت عليها عشرون آية فيما رأيت وسجلت . فلنتأمل ذلك .

أما الحزن فيكون على ما حدث في الماضي . . فإن لم يتخلص الإنسان منه

أصيب بالإحباط والاكتئاب وعجز عن التحرك لأداء دوره.. وأما الخوف فيكون من القادم في المستقبل.. والخوف قد يشل الحركة والتفكير. فالآيات تطمئن الإنسان وتخلصه من سلبيات الماضي وتؤمِّن خوفه ليتقدم نحو المستقبل. وكل المطلوب منه أن يتحلى بصفة من هذه الصفات: ١ـ « من تبع هداي » **البقرة**: ٣٨. ٢ـ « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً » **البقرة**: ٦٢ـ ٣ـ « من أسلم وجهه لله وهو محسن » **البقرة**: ١١٢ـ ٤ـ « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى » **البقرة**: ٢٦٢ـ ٥ـ « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » **البقرة**: ٢٧٤ـ ٦ـ « آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » **البقرة**: ٢٧٧ـ ٧ـ « الذين قتلوا في سبيل الله.. » **آل عمران**: ١٧٠ـ ٨ـ « آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً » **المائدة**: ٦٩ وكذلك في **الأنعام**: ٤٨ـ ٩ـ « فمن اتقى وأصلح » **الأعراف**: ٣٥ـ ١٠ـ « أولياء الله » **يونس**: ٦٢ـ ١١ـ « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا » **فصلت**: ٣٠ هؤلاء ينطلقون إلى الحياة ويؤدون دورهم في الخلافة والإصلاح بنفوس مطمئنة إلى عون ربها. وتبقى بعض الآيات التي تنص على الخوف والحزن بأسلوب آخر. ففي **آل عمران**: ١٥١ و١٥٦ يذكر رعب الكفار والحسرة في قلوبهم.. وفي **الحشر**: ١٣ يذكر خوف المنافقين من المؤمنين. وفي **آل عمران**: ١٥٣ـ **والأنبياء**: ٨٨ الحديث عن النجاة من الغم والحزن. وفي **المجادلة**: ١٠ يأتي النهي عن النجوى حتى لا يحزن المؤمنون. وفي **الذاريات**: ٥٠ يقول الله فروا إلى الله من كل خطر. ولا ننسى السكن والمودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين لتعطيهما التماسك الكافي أمام صعوبات الحياة. **الروم**: ٢١.

٢ـ الحماية من الضغط النفسي ـ ويبدو ذلك في:

منح السكينة: **التوبة**: ٢٦ـ **الفتح**: ٤ـ و١٨ـ و٢٦ـ والوصول إلى طمأنينة

القلب بذكر الله : **الرعد** : ٢٨ والتمتع بالرضي : **طه** : ١٣٠ـ **الفجر** : ٢٧ و٢٨ـ **الليل** : ٢١ـ **الضحى** : ٥ـ وصلاح البال : **محمد** : ٢ـ والحماية من الوسوسة **الناس** ـ وفي منح الأمن لمن لم يظلم : **الأنعام** : ٨٢ ـ **قريش** : ٤ـ وفي الحماية من المشقة والإرهاق : **النساء** : ٢٨ـ **طه** : ٢ـ و١٢٣ و١٢٤ـ **الحج** : ٣١ـ **الشرح** : ٥ و٦ـ والتخفيف والتجاوز عند الضعف : **الأنفال** : ٦٦ .

والحماية من الإكراه والكبت : **البقرة** : ٢٥٦ـ **النور** : ٣٢ـ **المجادلة** : ٥ .

والحماية من الذلة والمسكنة : **البقرة** : ٦١ـ **آل عمران** : ١١٢ـ والحماية من الأذى : **الأحزاب** : ٣٢ و٣٣ـ و٥٩ .

ومن أبسط الأمثلة ما ذكر في سورة طه (١٢٣ـ ١٢٤) « فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » .

تأملوا حياة الناس من حولكم. . هل هي مثقلة بـ(الضنك) أم الرضى. . ؟! وما هي أسباب ذلك ؟ فإن لكل حال سنة وقانوناً. . وما كان ربك بظلام للعبيد .

٣ـ الحماية من فتنة القلوب : ونجدها في مواضع كثيرة من القرآن منها :

ـ الحماية من النفور : **آل عمران** : ١٥٩ـ تطهير القلب من الإثم : **البقرة** : ٢٨٣ .

ـ حماية القلب من القسوة : **الحديد** : ١٦ـ **المطففين** : ١٤ـ أثر الإيمان بالآخرة : **النحل** : ٢٢ .

ـ الحماية من الفتنة في العلاقة بين الرجل والمرأة : الاستئذان : **النور** :

٢٧ـ غض البصر وستر الزينة : **النور** : ٣٠ و٣١ـ التزويج : **النور** : ٣٢ـ **الأحزاب** : ٥٣ .

ـ ومن الإغواء وطمع مرضى القلوب : **الأحزاب** : ٣٢ـ أثر الصلاة : **العنكبوت** : ٤٥ .

ـ أثر التزكية : **عبس** : ٣ و٤ـ **الأعلى** : ١٤ و١٥ .

إن الأخلاق والآداب التي يأمر بها القرآن هي سنن وقوانين لتحقيق الطهارة وتزكية النفوس وحتى العبادات التي يؤديها المؤمن تمده بمستوى عال من التأهيل لأداء الأمانة بحيث يسلك الصراط المستقيم الذي يوصله إلى الهدف بأقل وقت وجهد وكلفة . . وقلبه مملوء بسكينة الإيمان . . هذه الإجراءات ترفعه إلى مستوى من التمكين يساعده على اقتحام العقبات « فلا اقتحم العقبة » . .

ولا بد من تسليط الضوء على المستوى الذي يجب أن يرقى إليه القائد (الإمام) . . ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . . فهو ليِّن لا فظاً ولا غليظ القلب . . وإلا نفروا منك وتفرقوا عنك . . اعف عنهم واستغفر لهم إن أخطأوا . . ومع ذلك شاورهم في الأمر . . حرك عقولهم واشحذ هممهم واحترم طرحهم للأمور . . ولا شك بأن سماع الآراء المتعددة يجعلك تحيط بالأمر من كل جهاته ويوصلك إلى القرار السليم . . ورغم كل اللين وخفض الجناح . . فإن المضي في تنفيذ القرار الذي توصلتم إليه ضروري جداً . . فإذا عزمت فتوكل على الله . . والقائد الناجح لا يتردد بعد أخذ القرار . . وهذا لا يعني التوقف عن النقد والتمحيص وتأمل العواقب والقدرة على التصحيح في الوقت والمكان المناسبين . .

٢ـ **ضمان سلامة المشاعر** والتواصل الجيد. . وهو أمر لا بد منه لتماسك الأمة .

والإجراءات هنا تتنوع ما بين الأحكام في المعاملات. . وتطهير القلب كي يمارس الأخلاق والآداب .

فلنتأمل الآيات التالية :

الحماية من الريبة (بالأمر بكتابة الدين) **البقرة** : ٢٨٢ـ الحماية من البغضاء والعداوة بتحريم الخمر والميسر : **المائدة** : ٩١ـ النهي عن النجوى : **النساء** : ١١٤ـ **المجادلة** : ١٠ .

ـ الأمر بالقول الحسن : **الإسراء** : الآية : ٥٣ـ **الزخرف** : الآية : ٨٩ ـ الأمر بالعفو : **النور** : الآية : ٢٢ .

ـ الدفع بالتي هي أحسن : **المؤمنون** : الآية : ٩٦ـ **القصص** : الآية : ٥٤ـ **فصلت** : الآية : ٣٤ .

ـ التوازن العاطفي وعدم التسرع : **البقرة** : الآية : ٢١٦ـ **الحديد** : الآية : ٢٣ .

ـ وهنا يلفت نظري أمران على غاية الأهمية في تحقيق التواصل الجيد بين أفراد الأمة .

الأول : هو خطورة دور الكلام وأهمية تعلم فنّ الكلام. . وقد ذكر القرآن أنواعاً من القول إذ أن لكل مقام مقال. . فهناك : القول المعروف والقول الميسور والقول البليغ ـ والقول الذي فيه خضوع. . والقول السديد. . وهو القول الذي يسدد بدقة كي يصل إلى الهدف ويؤثر بالشكل المطلوب. .

وأما القول البليغ فهو الشديد المؤثر الذي يجب أن يقال لأصحاب الذنوب

الكبيرة أو المنافقين. . على عكس القول الخاضع الذي يضيع الحقوق ويغري أصحاب الشهوات بتجاوز الحدود .

وأما القول المعروف فيحمل بين ثناياه التلطف والإحسان. . والقول الميسور هو البعيد عن التكلف والذي تسمح به نفس المتكلم من خير. . ولعل القول السديد هو الذي يختار المناسب لكل ظرف .

نحن في عالم بدأ يدرك أهمية الكلمة. . متى نتكلم. . متى نسكت. . متى تسمع وتنصت. . إنها مهارات لا بد من التدرب عليها لأن لها أثراً كبيراً في تقويم العلاقات الاجتماعية .

الثاني : أهمية الدفع بالتي هي أحسن. . إذ يقرر الله تعالى قانوناً لتحول العدو إلى ولي حميم. . ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] لكن المسلمين كأنهم لا يؤمنون بهذا القانون في حياتهم العملية. . ويخلطون بين الضعف والإحسان ، الإحسان عطاء صادر من قوي قادر على الإساءة. . أما الضعف فهو استسلام العاجز الذي لا يملك فهماً للسن وليس له في الحياة مبدأ أو موقف. . الضعف يدعم المستكبر ويجعله يتمادى في الطغيان أما الإحسان فيكسر العداوة ويتسلل إلى القلوب ليهيمن عليها. . الضعف محتقر وممجوج. . لكن الإحسان يجعل الآخر يخجل ويتراجع عن خطئه. . في الضعف نخسر جميعاً : المستضعف والمستكبر. . وفي الإحسان يربح الجميع ولا يخسر أحد. . لكنه لا يصدر إلا عن علم ونفس صافية مُحبّة وصبورة. . ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] من أوتي القدرة على الإحسان هو صاحب الحظ العظيم بشهادة الله. . فما بال المسلمين عن كلام ربهم معرضون. . ؟! ولو وصف الطبيب لهم دواء لوثقوا به وتناولوه. . أفلا يثقون بالعليم الحكيم حين يحدد لهم علاج العداوة والكراهية. . ؟!

٢ـ إجراءات للشفاء :

وقد لاحظت ذلك في ثلاثة مسارات في القرآن الكريم :

١ـ القرآن شفاء ورحمة : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤] .

وفيه هداية للسلام : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة : ١٦] .

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه : ٤٧] وإنزال السكينة على قلوب المؤمنين : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [الفتح : ٤] .

٢ـ تزكية النفس : ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

إن الرضى بالشريك عند الزواج يحقق التزكية والتطهير للقلب من الفتن والأحزان ، وإن الله قد منح المودة والرحمة للنفس بالأزواج ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] .

ـ وإن تلاوة القرآن على المؤمنين تزكي أنفسهم ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

ـ ومن أساليب التزكية الصدقة والإنفاق ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

ـ وغض البصر والعفة تُزَكِّي ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟

﴿فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور : ٣٠] .

ـ ولا بد للداعي أن يترفق في عرض الحق ولو كان فرعون الطاغية : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات : ١٨ـ ١٩] . . ومن التزكية أن تستعمل أساليب منوعة لشفاء مرضى القلوب فقد عرضت الآية : ٦٣ من سورة النساء نماذج من هذه الأساليب : الإعراض ـ الموعظة ـ والقول البليغ .

ـ وقد يقتضي الأمر أحياناً قتال المعتدي وعقابه والقصاص لشفاء صدور المؤمنين .

وإن كان الشفاء الأعظم لما في الصدور يتحقق بمواعظ القرآن وهدايته ورحمته .

ولنتأمل ما يوجهنا إليه رب العالمين ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٧ـ ٩٩] ففي ذكر الله علاج لضيق الصدر . .

٣ـ رفع المعنويات . . وإن الله كثيراً ما يبشر المؤمنين ويذكرهم بامتيازهم ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ [النساء : ١٠٤] . . ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : ٥٨] . . كذلك عندما يقارن بين المؤمنين والكافرين ويحرض المؤمنين على التفوق : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال : ٦٥] ويعلل بأن غير المؤمنين لا يفقهون . . فتأمل .

ونلاحظ أخيراً أن إجراءات الشفاء أقل من إجراءات الحماية والوقاية . . وذلك لأن الحماية هي أولاً وهي الأهم . . فإن توفرت الحماية منذ البداية . . قلت الحالات التي تحتاج إلى علاج وشفاء . وقد وضع القرآن القواعد والأسس وترك التفاصيل والإجراءات للأخصائيين في العلوم النفسية كي يستخدموا أفضل ما استجد من معارف ووسائل في العلاج النفسي والاجتماعي .

* * *

الفصل الثالث

سنن تتعلق بالمجتمع

ولا بد من التنويه إلى أن الأمة ـ المجتمع ـ تملك مصيرها أكثر من الفرد لأن نتائج الأعمال في الدنيا جماعية ـ كما سيأتي الشرح بعد قليل ـ لكن الفرد يحدد مصيره في الآخرة حيث تكون النتائج فردية ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم : ٨٠] وأحياناً يحصد نتائج في الدنيا ولكن على المدى البعيد. . وقد تناولت الآيات التي تنص على تحديد المسؤولية عن المصير في الباب الثالث من استخلاف الإنسان . وكثيراً ما نصاب بالإحباط حين نرى معوقات البيئة وضلال الأكثرية إذ يخيل إلينا أن جهود المصلحين في المجتمع المتخلف تذهب هباء. . لكنها بذور تنمو بطيئاً لتشق الأرض فيما بعد وتؤتي أكلها بإذن ربها .

وفي تتبعي للآيات التي تنص على سنن حياة المجتمع. . لاحظت أربعة مسارات :

١ـ هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها .

٢ـ سنن تماسك الأمة .

٣ـ سنن تحقيق التوازن للأمة .

٤ـ سنن حصول الأمة على الدنيا .

* * *

الباب الأول : هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها

ـ فهو هدى للمتقين . . وهو الذي يسوق الأمة إلى الصراط المستقيم . . بحيث تصل إلى فلاح الدنيا والآخرة بأقل وقت وجهد وكلفة . . (وهو تعريف الصراط المستقيم) . . وفيما يلي نماذج من ذلك :

البقرة : الآية : ٢ـ والآية : ٢١ـ والآية : ١٤٣ـ والآية : ١٨٦ (يمنح الرشد) .

آل عمران : الآية : ١٠٤ـ والآية : ١١٠ـ **النساء** : الآية : ١٠٤ـ والآية : ١٧٠ـ **النحل** : الآية : ٩٥ـ **الإسراء** : الآية : ٩ـ **طه** : الآية : ٧٣ـ **الأنبياء** : الآية : ١٠ـ **الحج** : الآية : ٧٨ـ **المؤمنون** : الآية : ٧١ **العنكبوت** : الآية : ١٦ـ **الروم** : الآية : ٣٠ـ **سبأ** : الآية : ٦ـ **الشورى** : الآية : ٥٢ـ **محمد** : ٣٥ **الجمعة** : الآية : ٢ـ **البينة** : الآية : ٧ .

ـ فالأمة الوسط هي أفضل أمة لأنها بعيدة عن الغلو وعن التفلت . . ومن المعلوم أن الذي يقف في الوسط يملك زاوية في النظر أوسع . . وفي العربية : واسطة العقد هي الجوهرة الكبيرة في وسط العقد . وقد قرر الله أن المسلمين هم الأمة الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ . . ﴾ [البقرة : ١٤٣] تشهدون مسارات الأمم الأخرى وتملكون إطلاق الأحكام عليها وتشهدون على صلاحها أو ضلالها . . فأين أنتم يا أمة الإسلام ؟!

ـ والآية (١١٠) من آل عمران تذكر الصفات التي استوجبت أن يكون المسلمون خير أمة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ . . . ﴾ .

ـ وبهذه الصفات تنال الأمة العزة وتذكر بالخير عبر التاريخ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء : ١٠] **آل عمران** : ١٣٩ـ**الإسراء** : الآية : ٧٠ـ **فاطر** : الآية : ١٠ـ **المنافقون** : الآية : ٨ .

بينما يحصد المشركون الذل من حيث كانوا يرجون العزة :

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا * كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم : ٨١ ـ ٨٢] ـ ألا ترون إلى الذين يعلقون مصيرهم على رؤساء الشرق والغرب فيخضعون لهم وينفذون أوامرهم ظناً منهم أنهم سينالون العزة بهم ويمنحونهم ما يرجون من الكراسي والمناصب . . لكنهم ـ ويا للأسى ـ ما هم إلا ﴿جند محضرون﴾ لكبراء العالم يرسمون لهم الخطط والأدوار . . فإذا انتهت أدوارهم نفضوا أيديهم منهم وتخلصوا منهم وكانوا عليهم ضداً . . من كانت له عينان فلينظر ماذا حل بكثير من رؤساء دول العالم المتخلف . . (مثل : صدام حسين ـ وعلي عبد الله صالح في اليمن) .

* * *

الباب الثاني : سنن تماسك الأمة

وقد لاحظت اثني عشر قانوناً تعرضها الآيات :

١ـ الاجتماع على مركزية التوحيد :

الأنفال : الآية : ٦٣ـ **التوبة** : الآية : ٢٤ـ **الأنبياء** : ٩٢ـ **المؤمنون** : الآية : ٥٢ .

ـ تأمل آيتي الأنفال : ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ . . .﴾ .

إن مال الدنيا كله لن يخلق أمة صلبة متماسكة . . لكن الإيمان بالله يصنع منهم كياناً متجانساً متراصاً . . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف : ٤] .

ـ وحينما تختل مركزية التوحيد وتصبح الأولوية للهوى والشهوات فاقرأ على الأمة السلام . . ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم : ٥٩] .

٢ـ ترك الولاء للكافرين :

الأنفال : الآية : ٧٣ـ **المجادلة** : الآية : ٢٢ـ **الممتحنة** : الآية : ١ .

والولاء علاقة خاصة ما ينبغي أن تكون إلا بين المؤمنين بالله . . إنها لا تعني الحب وحده . . ولا الإحسان . . لأنك قد تتعامل بهما مع الكافرين . . فقد كان النبي ﷺ والمؤمنون يحبون الناس ويتمنون لهم الهداية ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا

﴿يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران : ١١٩] . . وفي سورة الممتحنة يوضح الله المطلوب : ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ فالبر هو الإحسان والقسط هو العدل . . والله لا ينهي عنهما مع المخالف في الدين . . بل إن الله يحب ذلك . . ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وما أشد خسارة من يجعل عدوه ولياً له . . الولاء هو حب وانتماء ومناصرة في خدمة قضية واحدة يؤمن بها الطرفان ويجندان أنفسهما لخدمتها . . والمؤمن وليه الله ورسوله ثم المؤمنون . . ولا يمكن أن يسلم أموره لعدوه ويسمح له أن يخطط لحياته ويطيع أوامره . . وهو أمر لم يدركه المسلمون بجلاء . . فهم يحقرون من لا يدين بالإسلام . . ومع ذلك تراهم يسلمون أولادهم لمربيات غير مسلمات ويضعونهم في مدارس تبشيرية . . !!

٣ـ تجنب التفرق والنزاع : ولنتأمل الآيات التالية :

آل عمران : الآية : ١٠٣ـ **المائدة** : الآية : ١٤ـ والآية : ١٦ـ **الأنفال** : الآية : ٤٦ـ **هود** : الآيتان : ١١٨ و١١٩ـ **الإسراء** : الآية : ٥٣ـ **الحج** : الآية : ٥٣ـ **القصص** : الآية : ٣٥ـ **ص** : الآية : ٢ـ **الشورى** : الآية : ١٤ـ والآية : ٤٠ـ والآية : ٤٣ـ **الصف** : ٤ .

ـ يأتي الأمر الرباني : ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا . .﴾ [آل عمران : ١٠٣] . . ولا يكتفي الله بذلك بل يبين لهم أن رغبة الشيطان قوية في إفساد العلاقات بينكم . . فاحذروه والتزموا القول الطيب . . وحلّوا خصوماتكم بالعدل والعفو . . ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ

﴿لِمَنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٠ـ ٤٣] . . ولنا أن نتأمل ما تطرحه آيات (الشورى) من أولها . . ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [٣٩] كيف ينتصرون ؟! لمَ لا يكون المعنى : ينتصرون على غضبهم وعلى الرغبة في الانتقام في أنفسهم . . وبذلك يستطيعون الارتقاء إلى العفو والإصلاح بدلاً من القصاص . . إن هذا هو الطريق الأمثل للقضاء على النزاع .

٤ـ تجنب الفظاظة وغلظة القلب :

آل عمران : الآية : ١٥٩ـ والأمر بالتزام الكلم الطيب : **الإسراء** : الآية : ٥٣ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ . . .﴾ . . واختيار القول الأحسن يحتاج إلى تقوى وذكاء ومعرفة بطبائع من تخاطب . . فالأحسن بالنسبة لك قد لا يكون هو الأحسن لإنسان آخر . . ومع ذلك تبقى هناك أصول مشتركة للكلام الطيب الذي يعرف من ثماره . . ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم : ٢٤ـ ٢٦] .

ـ كل ذلك لتجنب النفور والتفرق بين المؤمنين ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ . .﴾ [آل عمران : ١٠٣] كلها إجراءات لضمان التماسك في الأمة بالحرص على كرامة الآخر واحترامه .

٥ـ ترك ما يثمر العداوة :

النهي عن الخمر والميسر : **المائدة** : الآية : ٩١ .

والأمر بالصلاة لأنها : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ . .﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

٦ـ ومن يسعى في الإصلاح ينال الرحمة والخير :

النساء : الآية : ١٢٨ـ **الحجرات** : الآية : ١٠ .

فالآية في النساء تستبطن المشاعر الإنسانية وكيف يحاول الشح أن يسيطر على النفس : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ . . والصلح في الأسرة هو بذرة التصالح في الأمة . . وهو ما تأتي آية الحجرات لتؤكده ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . .

هل تريد للأمة أن يعمها الخير وتغشاها الرحمة . . ؟ الطريق هو إشاعة التصالح بين رعاياها .

٧ـ النهي عن النجوى :

للإبقاء على صفاء الود في النفوس : **النساء** : الآية : ١١٤ـ **المجادلة** : الآية : ١٠ .

مع استثناء حالات تكون فيها النجوى هي الأفضل كما ورد في الآية ١١٤ من النساء .

« لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » .

٨ ـ والأمر بالتفسح بالمجالس :

المجادلة : ١١ « إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم . . » افسح لأخيك مكاناً في قلبك . .

٩ـ التوازن العاطفي وعدم التسرع والانسياق وراء العواطف . .

النساء : الآية : ١٩ـ **الحديد** : الآية : ٢٣ . . « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

والدين لا يلغي العواطف ولا يمكن إلغاؤها فهي جزء من تكوين الإنسان . . لكنه يضع لها الضوابط لأنها إن جمحت وترك لها العنان . . زلزلت العلاقات الاجتماعية في الأمة .

١٠ـ أهمية وجود النخبة :

هود : الآية : ١١٦ـ **المؤمنون** : الآيات من ١ إلى ٩ـ **الأحزاب** : الآية : ٣٢ـ **الفرقان** : الآيات الأخيرة .

النخبة الجيدة الواعية هي مركز الثقل في المجتمع . . ترشده عند الأزمات وترده إلى الخير عند الفتن ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود : ١١٦] . . وما أجمل حديث المؤرخ توينبي عن دور النخبة في المجتمع . . إنها جماعة من أفراد الأمة تدرك معاناة الأمة وترى مشاكلها . . فتمارس الانسحاب بعيداً عن الناس لتفكر في الحلول وتخطط للنهضة . . ثم تعود إلى الأمة لتقود الناس إلى النهضة . . ولأنها عرفت بالنزاهة والصدق ورجاحة العقل فإن الناس ينقادون إليها ويلتزمون بأمرها . . ومع مرور الأيام تتحول هذه النخبة المبدعة إلى جماعة مسيطرة تحكم الناس بالسوط والعصا . . وتتردى الأمة من جديد بانتظار نخبة جديدة . . إن هذا لا يلغي ضرورة نشر العلم والتوعية في عامة الناس بل إن هذا يضمن استمرار ظهور النخب .

١١ـ الاستنفار لحماية الأمة فكرياً ومادياً . .

وهذا ما تقتضيه صيانة الأمة من عدوها الداخلي والخارجي . .

البقرة : الآيتان : ٢٤٣ و٢٤٤ وفيهما التأكيد على أن التخاذل موت للأمة . فيأتي الاستنفار : التوبة : الآية : ٣٩ـ والآية : ٤١ـ والآية : ١٢٢ـ طه : الآية : ١١٤ .

ولأن إعراض الناس عن الحق سببه الجهل ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٤] يأتي الاستنفار للتعلم والتعليم : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

إنها فكرة الانسحاب والعودة للنخبة.. ولكن بمصطلحات مختلفة.. ولا تنسى أن الله خاطب النبي نفسه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤].. لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

١٢ـ تبليغ العلم يحمي المجتمع :

المائدة : الآية : ٦٧ـ ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ .

إنني أفهم من الآية أن التبليغ ينشر العلم في الأمة ويخلق جواً محصناً يحمي الدعاة إلى الخير من كيد الخبثاء وهو ما أشارت إليه الآية ١٨ من سورة الأنبياء : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ .

وقد سبق أن تحدثت حول هذا الموضوع عند استخلاف الإنسان تحت عنوان :

٤ـ خطورة نقص العلم وأهمية الدعوة والتبليغ .

* * *

الباب الثالث : سنن تحقيق التوازن للأمة

وقد لاحظت ثمانية عناوين في هذا المجال :

١ـ إقامة العدل وأداء الأمانات :

البقرة : الآية : ٧٩ـ والآية : ٢٣١ـ **النساء** : الآية : ٣ـ والآية : ٩ـ والآية : ٥٨ـ والآية : ١٣٥ـ **المائدة** : الآية : ٨ ـ **الأعراف** : الآية : ١٥٩ـ والآية : ١٨١ـ **النحل** : الآية : ٩ـ **الإسراء** : الآية : ١٥ـ والآية : ٣٥ـ **ص** : الآية : ٢٤ـ **المطففين** : الآية : ٣ .

ـ والأمة حين يفقد فيها العدل تعيش على فوهة بركان.. فالطبقات المظلومة تعيش حالة غليان وتتربص الفرص للانفجار.. والويل للأمة حين يثور المظلومون فيجتاحون كل شيء.. عندها يخسر الجميع ولا يربح أحد.. لكن الظالم يظن أنه هو الرابح.. وكم نخسر جميعاً من إهمال الأمر القرآني « سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ».. ولو درسنا التاريخ لعرفنا أن الفراعنة سيغرقون مع شعوبهم حين يضرب الظلم أطنابه في المجتمع.. ولهذا تأتي الآيات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٨ـ ٥٩] .

فالآيات تنبه إلى آثار الدنيا قبل الآخرة.. لأن العدل هو الركيزة الأولى التي تحفظ توازن الأمة .

٢ـ ضبط الإشاعات :

النساء : الآية : ٨٣ ـ **النور** : الآية : ١١ـ والآية : ١٥ـ والآية : ١٩ـ **الحجرات** : الآية : ٦ .

فلنتأمل الآية : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] . . إن معنويات الناس في المجتمع تحتاج إلى رعاية . . والأحداث والأخبار لا بد أن تخضع لدراسة من المختصين لتحديد ما الذي يجب إعلانه لأنه ينفع الناس ويرفع هممهم . . علماً بأن أكثر الإشاعات في الأصل تكون كاذبة . . وتزلزل الصحة النفسية لأفراد الأمة .

٣ـ احترام حرية الفكر والدين :

البقرة : الآية : ٢٥٦ـ **الأنعام** : الآية : ١٠٨ـ **يونس** : الآية : ٩٩ـ **الكهف** : الآية : ٢٩ **الصافات** : الآيتان : ١٧٤ و١٧٥ـ والآيتان : ١٧٨ و١٧٩ـ **الشورى** : الآية : ٨ ـ **الغاشية** : ٢١ و٢٢ .

فلننظر إلى الاحترام الذي تعلمنا إياه الآية ١٠٨ من سورة الأنعام :

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ . . اسمعوا يا مسلمين : لا تسبوا أصنام الناس ولا تحقروا معتقداتهم . . فتستفزوا عداءهم ويقابلوكم بالمثل فيسبوا ربكم . . فما أسوأ هذا الأسلوب . . !! فكيف تدعوهم إلى دينك وقد استنفرت عداءهم . . ؟! إن كل أمة تظن أنها على الحق . . ولا تنسَ أن الله الذي سيحاسب ولست أنت . . وقد تكون بأسلوبك هذا سبباً لإعراضهم فتبوء بجزاء « الذين يصدون عن سبيل الله » عند ربك . .

ـ ولو شاء الله لخلق كل الناس مهتدين لكن امتحن الناس بإعطائهم العقل وحرية الاختيار وبذلك يصبح الثواب والعقاب عادلاً . ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

٤ـ حرمة دم الإنسان :

المائدة : الآية : ٣٢ـ **القصص** : الآية : ١٥ـ والآية : ١٩ـ إبتداءً إن القتل من عمل الشيطان كما قال موسى في القصص : ١٥ ولا يتقاتل إلا الذين لا يعقلون : ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر : ١٤] .

ولقد قصت علينا سورة المائدة خبر ابني آدم وكيف رفض القتيل اسلوب التقاتل لحل النزاع ولم يقبل حتى أن يدافع عن نفسه . . وقد يقول قائل . . لكنه قد قُتل . . ؟! فلنتأمل كيف ستكون العاقبة لو أنه دافع عن نفسه . . ؟ سيقتل أحدهما الآخر . . أو يقتل الطرفان . . ويصبح الموضوع كخبر أي جريمة تحدث على الأرض . . ولا يستحق أن يخبرنا الله عنه « واتل عليهم نبأ ابني آدم . . » لكن الذي رفض القتال قد حول الأمر بحيث يندم القاتل ويتوب وتصبح القصة نموذجاً على فعالية كف اليد ولو من طرف واحد في إنهاء النزاع . . وذلك ما تحاول الإنسانية الارتقاء إليه . . لقد ملأت الحروب الأرض بالدماء . . وتنادى العقلاء لابتكار أسلوب جديد لإحقاق الحق وإحلال السلام . . ويجدر بنا أن ندرس ونتأمل تجربة غاندي في تحرير الهند من الاستعمار البريطاني . . يعلق المؤرخ توينبي على مشهد مغادرة القوات البريطانية للهند في عام ١٩٤٧ في جو من البهجة المتبادلة . . (غاندي لم يحرر الهند فقط . . بل حرر بريطانيا العظمى) . (صفحة ١٢٤ من كتاب غاندي الإنسان ـ الكاتب إكناث إيسوران ـ ترجمة غياث جازي) ـ وفي الصفحة ١٢٥ يذكر حديثاً وجهه لغاندي سكرتير الجنرال سمتس ـ المسؤول البريطاني في

الهند ـ (تمنيت أن تلتزم جانب العنف . . حينها سنعرف على الفور كيف نسوي الأمر معك . لكنك لن تؤذي حتى عدوك . أنت تبتغي الانتصار ملتزماً بحدود مفروضة ذاتياً قوامها اللطافة والنبل . . وهذا ما يجبرنا على الوقوف عاجزين) .

مع ملاحظة أن تطبيق العقوبات على الجرائم داخل المجتمع يوفر الأمن ويضمن احترام القانون ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

٥ـ تفتيت الثروة :

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] . . إن الله بتنظيماته المالية يزيل الفوارق الطبقية بين الأغنياء والفقراء . . تأمل الآيات التي تتولى توزيع الإرث في صدر سورة النساء . . وتشريع الزكاة على أنها إحدى عناصر أركان الإسلام الخمس . . والأمر بالإنفاق . . وتحريم الربا . . كل ذلك يخلق توازناً مادياً في المجتمع المسلم . . حتى أن العالم الإسلامي رغم تخلفه وبعده عن مبادىء الإسلام قلما وجد فيه الإقطاع الذي أدى إلى مشاكل كبرى في العالم الغربي .

٦ـ تحاشي ضرر المنافقين :

التوبة : الآية : ٤٧ـ **محمد** : الآيتان : ٢٩ و٣٠ . . ولا بد للمشرفين على سلامة المجتمع من أن ينتبهوا لهذه الشريحة المريضة حتى لا تنشر العدوى والفساد : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ ولا بد أن يعاقبوا إن تمادوا في الأذى : ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞

مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب : ٦٠ـ ٦٢] هكذا حدث لهم في التاريخ . .

٧ـ سنة الاختلاف والتدافع تحمي الأمة من الركود وتُطوِّرها . .

البقرة : الآية : ٢٥١ـ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . . وكذلك يبين في **سورة هود : ١١٨ـ ١١٩** ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ . . .﴾ . . الاختلاف والتعددية أمران ضروريان لإحداث رؤى جديدة ولإحداث تلاقح جديد يثمر نمواً وانطلاقاً إلى ما هو أفضل . . وكذلك في الحج : ٤٠ .

٨ ـ هلاك الأمة بفسق المترفين فيها ومكرهم :

الأنعام : الآية : ١٣١ـ النحل : ٢٦ـ الإسراء : ١٦ـ المؤمنون : ٧١ إذ أن اتِّباع الهوى يمكن أن يفسد الكون كله ومع ذلك فهناك فرصة لنجاة الذين ينهون عن السوء ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٥] . . إن مترفي الأمة يملكون موارد الأمة . . فإن وضعوها في الفسق والإفساد حق الدمار ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء : ١٦] .

والآية ٢٦ من سورة النحل تستحق منا وقفة . . « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » .

إنها صورة دقيقة ومرعبة للأمة التي ضاعت منها مركزية التوحيد وانحسرت عنها المبادىء الأخلاقية فانطلقت وراء المال والسلطان والبنيان . . تحصل على ذلك كله بالمكر والتلاعب بمصالح الناس . . لكن البناء قد بني على الكذب

والاحتيال والمكر. . وهي أمور لا تصلح لتكون قواعد متينة تحمي البناء. .

تأمل الصورة كم هي بليغة. . بناء أسسه منخورة. . وكل خبيث يسلط عليه من هو أخبث منه. . وكل باطل لابد أن يهوي حين يأتي الحق. . فكيف لا يخر السقف عليهم من فوقهم. . ؟! إنها أمة بلا قواعد. .

* * *

الباب الرابع : سنن حصول الأمة على الدنيا

والإسلام لا يحرم أتباعه من الدنيا . . بل هو موعود إن التزم بأوامر الله بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا - كما سيمر معنا - وطلب ثواب الدنيا ليس محظوراً . . ولكن ابحث عنها من مصادرها . . ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [النساء : ١٣٤] إن الدنيا محكومة بسنن الله . . وأنا أحاول هنا أن أتلمس بعض هذه السنن . . فالمسلم مطالب بالخلافة في الأرض وأن يجعل الحياة تنمو وتتطور إلى أحسن حال . . وفي جولتي مع آيات القرآن وصلت إلى المسارات التالية :

١ـ إرادة الدنيا والقيام بأسبابها :

هود : الآية : ١٥ـ**الإسراء** : الآية : ١٨ـ**الشورى** : الآية : ٢٠ .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود : ١٥] .

٢ـ لا يغير الله حتى يغيروا ما بأنفسهم

الرعد : الآية : ١١ـ **الأنفال** : الآية : ٥٣ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

ـ ما هي الأمور التي في الأنفس ؟ الأفكار . . الصور الذهنية . . العواطف . . النوايا . . وفي **سورة فصلت** : (٢٢ و٢٣) نجد نموذجاً لآثار الصورة الذهنية الخاطئة :

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ .

وكم من الظنون بالله وسننه قد أدخلتنا في متاهات . . وهل دخل المسلمون إلى عالم (السنينة) أم أنهم ما زالوا يرون الأحداث تجري خبط عشواء بلا نظام ولا ضوابط . . ؟!

وربما يظن بعضهم أن القوانين لا تنطبق على المسلمين لأنهم أبناء الله وأحباؤه . .

٣ـ النتائج في الدنيا جماعية :

أي : أنها تأتي بحسب أعمال الأكثرية . . فإن كانت الأكثرية فاسدة عم الفساد حتى على الصالحين .

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

وأما الأفراد الصالحون فهم بذور التغيير في الأمة ونتائج أعمالهم تحتاج إلى وقت حتى تثمر . . لكنهم بجهودهم قد قدموا لآخرتهم ولن يبخسهم الله حقهم فيها . . فالنتائج هناك فردية . .

٤ـ النتائج العاجلة والنتائج البعيدة المدى :

وذلك حتى في الدنيا . . فقد يستمتع شارب الخمر في البداية لكنه على المدى الطويل سيصاب جسده بالأمراض ويُثقلُ الإدمان ميزانيته ويهدد استقرار أسرته . . وقد يفقد عمله ويصبح منبوذاً . .

« نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ » .

وتأمل قول السحرة لفرعون بعد أن هددهم : ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ

لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٌ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [طه : ٧٢- ٧٣] فهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى في الدنيا والآخرة ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٧] وهي حال الكافرين والجاهلين بالسنن وسيمر معنا في الفصل القادم أن من سنن الله أنه يمد للظالمين ثم يقعون في شر أعمالهم[١] . .

٥- نتائج الخطا والفساد في الدنيا حتمية . .

والتوبة لا تعفي منها . . وإنما التوبة - في الغالب - تحمي من عذاب الآخرة . . وقد نصت على ذلك آيات كثيرة منها :

الروم : الآية : ٤١- **يونس** : الآية : ٨١ - **النحل** : الآية : ٣٤- **آل عمران** : الآية : ١٦٥- **الزمر** : الآية : ٥١- **غافر** : الآية : ٨٥ - **الشورى** : الآية : ٣٠ .

وحتى إفساد البيئة سرعان ما تطغى نتائجه : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ۞ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ [الشعراء : ١٥٧- ١٥٨] فليست الناقة وحدها التي عقرت بل إنهم يعقرون البيئة الآن ولنتأمل الآية ٤١ من سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ . . فما أعظم رحمة الله بالناس إذ يعطيهم نتائج أعمالهم في الدنيا قبل الآخرة فلعلهم يصححون ويرجعون عن أخطائهم . . فعواقب الأعمال هي الميزان الحقيقي لصلاحها مع الانتباه للعاجلة والبعيدة المدى . . وهنا تظهر قيمة التوبة والاستغفار . . إنها أولاً ليست مجرد كلام بل هي عودة عن الخطأ بعد أن ظهرت نتائجة في الدنيا . . وبذلك تنفع التوبة في التصحيح والحماية من تكرار العواقب الوخيمة في الدنيا . . ثم إنها تحمي من المؤاخذة في الآخرة . . وهو

---

(١) وهو ما يؤكد اختلاف العاجلة عما هو خير وأبقى .

ما ينبغي الانتباه إليه حين نقرأ الآيات : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح : ١٠ـ١٢] .

فالعالم الإسلامي الآن يصلي صلاة الاستسقاء ويستغفر ويدعو . . لكنه قد قطع الأشجار ولوث البيئة بآثار الأسلحة الحديثة والكيماويات والتدخين . . فأنى يستجاب له . . !!

إن التوبة والاستغفار تقتضي إصلاح كل هذه المفاسد والقيام بأسباب الخصوبة ونزول الخير .

٦ـ أهمية تفوق الكيف على الكم :

أي : أن النوعية أهم من الكمية . . المسلمون كثيرون اليوم لكنهم كغثاء السيل . . وفي المقابل : ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ فلقد كان من حيث الأثر بوزن أمة . . والآيات (٦٥ و٦٦) من الأنفال تشير إلى نسب يجب الانتباه إليها . . ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . . إن الذي يثقل ميزان الأشخاص أمران : الفقه والصبر . . الفقه هو الفهم والعلم وهو يثمر الصبر . . فمن لا يعرف سنن الله لا يصبر على القيام بالأسباب . . وفي الآيتين نجد نسباً : عشرون صابرون أعظم أثراً من مائتين لا يفقهون . . أي : أنهم أفضل من عشرة أضعافهم . . فإن حصل نقص وضعف في العلم هبطت النسبة إلى ضعف واحد . . وما ينبغي للمسلمين أن ينحدروا أكثر . . ونلاحظ أن الآيات لم تتحدث بشكل فردي . . فلم تقل : أن الواحد يغلب عشرة . . لأن قوة التماسك بين العشرين تضيف تماسكاً إلى قوة الأفراد . . وينبغي للمسلمين أن يدركوا أهمية الأعمال الجماعية لأنها تأتي أكثر علماً وقوة . . وتقود المجتمع إلى التماسك أكثر .

٧ـ الأرض يرثها الصالحون. . ويمكن أن نقول أصلح الموجود .

الأنبياء : الآية : ١٠٥ـ **الشعراء** : من ٥٧ إلى ٥٩ـ **الدخان** : من ٢٥ إلى ٢٨ـ ومن ٣٠ إلى ٣٢ .

ولقد نصت الآية : ١٠٥ من الأنبياء على تلك السنة بصريح العبارة :

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

وسأتحدث عن ذلك في الفصل التالي .

٨ ـ لكل أمة أجل :

فكما أن للإنسان دورة حياة وكذلك الأمم. . تولد وتصبح شابة وتهرم ثم تموت .

الأعراف : الآية : ٣٤ـ **يونس** : الآية : ٤٩ـ **الحجر** : الآية : ٥ـ **المؤمنون** : الآية : ٤٣ .

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

٩ـ الابتلاء يجعل الناس طبقات ليخدم بعضهم بعضاً ولتحقيق التكامل في الحياة :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ. . . ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

ولو كان الناس متساوون في المواهب لتعطلت الحياة واختل البناء الاجتماعي. . فالأمة بحاجة إلى المهندس والعامل البنَّاء. . وبحاجة إلى المزارع والتاجر والطبيب والخباز و. . . حتى عامل النظافة لا يقل أهمية عمن

سبقه. . ولا يمكن للمجتمع أن يبنى بدون هذا التنوع. . فكل فرد يسخر موهبته لخدمة الآخرين. . والكل مسخرون لخدمة بعضهم بعضاً. . هذا ما فهمته من قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾. . وذلك كله من رحمة الله ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. . فما قيمة المال المجموع إن لم تجد الخباز والخياط والبقال وحتى عامل التمديدات الصحية. . ؟! وليس لأحدهم فضل على الآخر فهم في حالة أخذ وعطاء ولا يستغني أحد منهم عن الآخرين. . وإنما يتفاضلون بمقدار إتقانهم لأعمالهم وأدوارهم. . فما أعظم رحمة الله بهذا التنوع في الطبقات. . هذا التنوع في الخلق هو من سنن الله في الحياة الاجتماعية. . والابتلاء به يكشف عن أخلاقنا في احترام الآخر وحسن التعامل معه ولو كان من طبقة أدنى. .

وسأتحدث في الفصل القادم أكثر عن البلاء وسننه وفوائده وكونه ضرورياً لصقل الإنسان وتطوير قدراته وأخلاقه.

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع
سنن تتعلق بالفرد والمجتمع

فهي تشمل الطرفين . وقد رأيت فرزها في فصل خاص ـ بعد تردد ـ وقد يخالفني القارىء فلا بأس .

وسأتحدث في هذا الفصل عن خمسة عناوين :

١ـ آثار الالتزام بالكتاب . ٢ـ مشكلة الاستكبار والاستضعاف . ٣ـ شرطان لنجاح الأعمال (من سنن الفلاح) . ٤ـ البلاء فرصة للمراجعة والتصحيح . ٥ـ عواقب الدنيا .

الباب الأول : آثار الإلتزام بالكتاب

١ـ الحماية للفرد والأمة

وقد نصت على ذلك آيات كثيرة . . منها :

البقرة : الآية : ٣٨ـ والآية : ٦٣ـ **هود** : الآية : ٥٨ـ والآية : ٦٦ـ والآية : ٩٤ـ **لقمان** : الآية : ١٣ـ **الزمر** : ٥٤ و٥٥ـ **الذاريات** : ٥٠ و٥١ـ **الصف** : ١٠ و١١ـ **الحاقة** : الآية : ٤٨ـ **قريش** : الآية : ٣ .

نتأمل نموذجاً منها الآيات من سورة الصف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ. . . ﴾ وبعد أن تذكر الآيات جزاء الآخرة تعود إلى الدنيا ﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [١٣] . . هذه العطايا زيادة على الحماية

التي ذكرتها الآيات ﴿نُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ . وما ذلك إلا لأن أوامر القرآن جاءت لتحقيق المكاسب للفرد والأمة في الدنيا أولاً . . .

- والآيات التالية تتحدث عن الحماية التي تثمرها الآداب العامة والعبادات المأمور بها في القرآن .

الأعراف : الآية : ٢٦- **الإسراء** : الآية : ٣٢- **مريم** : الآية : ٥٩- **النور** : ٢٧ و٢٨ **النور** : ٣٠ و٣١- والآية : ٦٠- **الأحزاب** : الآية : ٥٩ .

تأمل الآية ٥٩ من سورة مريم : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ . . حين تنقطع العبادة مع الله . . وتصبح الأولوية في حياة الأمة للشهوات فماذا يرجى منهم . . ؟! بل ماذا يبقى لهم ؟! إن انهيار الأمة يصبح وشيكاً حين تسود الغرائز . . ولقد ذكر لنا في سورة الأعراف أنه امتن علينا بلباس التقوى الذي يقي الفرد والأمة من المهالك : ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ . . ﴾ . . إن أوامر الله تسد كل الثغرات في وجه الشر والفساد . . وتسوق الجميع إلى الخير .

٢- الاستمتاع بالتخفيف :

فالدين ليس قيوداً وأثقالاً ترهق الإنسان بل إن محمداً ﷺ قد جاء للناس لـ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ . . ﴾ [الأعراف : ١٥٧] . . بل إن المعرضين عن أمر الله هم المكبلون بالأغلال . . فتأمل الآيات التالية :

آل عمران : الآية : ١٣٢- **النساء** : الآية : ٢٨- **الأنعام** : الآية : ١٥٥- **الأنبياء** : الآية : ١٠٧- **النور** : الآية : ٦١- **الحجرات** : الآيتان : ٧ و١٠- **القمر** : الآية : ١٧ (وكررت أربع مرات) **الطلاق** : الآية : ٤- والآية : ٧- **الجن** : الآية : ١٣- **الأعلى** : الآية : ٨ - **الليل** : ٧- **الشرح** : ٥ و٦ .

فالرحمة بطاعة الله ورسوله وبالإصلاح بين الإخوة وبالتقوى واتباع الكتاب : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] . . وفي كثير من الأحيان لا يدرك الإنسان أين هي مصلحته . . وقد يتمنى لو أنه لم يؤمر بأمر معين . . لكن هذا الدين من العليم الحكيم . . ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٧ـ٨] .

ـ وفي سورة القمر يؤكد على الحقيقة ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ فيستعرض مصارع بعض الأقوام ليكرر هذه الحقيقة أربع مرات . . فهل من مدكر . . ؟!

٣ـ ثواب في الدنيا :

ونتائج جيدة في الدنيا . فلنتأمل الآيات التالية :

النساء : الآية : ٦٦ـ والآية : ١٣٤ـ والآية : ١٧٥ـ **هود** : الآية : ٨٦ـ **النحل** : الآية : ٩٧ـ **الحج** : الآية : ٧٧ـ **الصافات** : ١٤٨ـ **مريم** : الآية : ٣٦ـ **المؤمنون** : الآية : ٧٣ـ **الزخرف** : الآية : ٦٤ـ **الملك** : الآية : ٢٢ .

بعضها يذكر (الصراط المستقيم) كثمرة لطاعة الله ورسوله . . والصراط المستقيم هو أقصر الطرق للوصول إلى الهدف وأيسرها وأقلها كلفة . . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٥] وبعضها يذكر (الفلاح) كثمرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج : ٧٧] . . وعلى كل حال فإن الله لا ينهى عن طلب ثواب الدنيا . . ولكن أُطلبها من

مصادرها الحقيقية : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] عند الله أي عند سننه.. فالله قد وضع قوانين للحصول على ثواب الدنيا تتناغم مع أوامره في القرآن...

٤ـ الرزق الوفير : وهو جزء من ثواب الدنيا أردت تخصيصه بقسم مستقل لأهميته عند الناس وفي القرآن آيات كثيرة تشير إليه.. منها ما يلي :

المائدة : الآية : ٦٦ـ **الأعراف** : الآية : ٩٦ـ **الطلاق** : الآية : ٣ـ **الملك** : الآية : ١٥ـ **العنكبوت** : ١٧ـ **المؤمنون** : ٧٢ـ **الجن** : الآية : ١٦ .

فالإشارة في هذه الآيات واضحة إلى أن الرزق بالتقوى وبالسعي.. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : ١٥] .

وفي الآيات التالية يحث الله المؤمنين على الإنفاق ويعدهم بأن ما ينفقون هو قرض عند الله يسدده لهم أضعافاً مضاعفة.. **الحديد** : الآية : ١١ـ **التغابن** : ١٧ـ **سبأ** : الآية : ٣٩ .

ـ وفي سورة الجمعة يحذر من الخلل في الأولويات.. ما بين الرزق وذكر الله.. (الآيات من ٩ إلى ١١) .

فالأولوية لصلاة الجمعة ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .. ﴾ .

ـ وفي الآية الثالثة سورة النساء إشارة هامة إلى ضرورة التدبير في صرف المال. فالاكتفاء بزوجة واحدة أفضل كي لا تكثر عيالكم وتفتقروا.. ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ .

ـ وفي آيات آخرى يذكر الرزق على أنه ثمرة لمن يتصف بصفات الإيمان كما ورد في : **الأنفال** : ٤ـ **وفي فاطر** : الآيتان : ٢٩ و٣٠ـ **وفي سورة هود** : الآية : ٥٢ يجعله ثمرة للإستغفار .

وفي مواضع أخرى يعرض كيف أدى الكفر بنعم الله إلى الحرمان من الرزق . وأبرز مثال الآية ١١٢ من النحل ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ . . ترى ماذا كانوا يصنعون ؟!

وكيف يكون الكفر بأنعم الله . . ؟! هل يكون بالغفلة عن شكر المنعم ؟ وبوضع النعم في غير مكانها كأن تستعمل في المعاصي وما يؤذي الناس . . ؟

هل سخروا قوة الإعلام الرائعة في إضلال الناس وإغوائهم وصدهم عن الحق والخير . . ؟

هل صنعوا الطغاة بخنوعهم وخضوعهم ولا مبالاتهم . . ؟ هل صنعوا (الإنسان المادي) المسلوخ عن الأديان والقيم والأخلاق . . ؟ لك أن تتأمل الواقع المأساوي الذي غرق به المسلمون . .

أخيراً أشير إلى أهمية دراسة الاقتصاد الإسلامي من خلال القرآن والسنة . . لوضع الركائز والأسس . . وتنظيم المناهج الاقتصادية الربانية للنهوض بالعالم الإسلامي من الهاوية التي يتردى فيها . . كي يبني ذاته ويستثمر خيراته ويشع بالخير على الآخرين . . وقد تصدى لذلك بعض الباحثين الجدد .

وفي ذلك إنقاذ لنا من السفاهة التي تجعل ثرواتنا تذهب لأعدائنا . . بينما تعاني الأمة العوز في كل شيء .

٥ـ الوصول للسلام باتباع رضوان الله :

وما أعظم النظام الذي يساعد الفرد والأمة على حل مشاكلهم ويغلق منافذ الشر ويحبط سبل الشيطان . . إنه بذلك يمنح الأمة مظلة الأمن والسلام . . فلنتأمل ما يلي :

المائدة : الآية : ١٦ـ والآية : ٩٧ ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا

﴿لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ لقد فرض الله على الناس كلهم سلاماً إجبارياً عند البيت الحرام وعند الأشهرالحرم وفي التعامل مع المحرمين الذين يقصدون البيت الحرام للعبادة في أي زمان كان. . ليتعلم الناس أن الحياة لا تقوم لها قائمة إلا بالسلام وفرض الأمان. . احتراماً لدم الإنسان وكرامته .

ونتأمل ما ذكرت الآية ٨٢ من الأنعام ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ وأكثر ما يخرب السلام ويعاكسه هو ممارسة الظلم فتفقد الحياة الإنسانية توازنها. . وقد وعد الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ . لأنهم يسعون لمنع الظلم في الأرض ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ . .﴾ [النور : ٥٥]. . إن القيام بأوامر هذا الدين يمنح الأمة الخلافة والتمكين والأمن من كل خوف .

وعلى صعيد المعاملات بين أفراد الأمة. . فإن الله يعطي العلاج الذي يثمر السلام عند الخصومة كما جاء في الآيات التالية : **الرعد** : الآية : ٢٢ـ **المؤمنون** : الآية : ٩٦ـ **فصلت** : الآية : ٣٤ .

﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ بل إن الله ينهي عن الاستفزاز ويعلم المؤمن أن يحترم حرية الآخر في اختيار مقدساته. . ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ . .﴾ [الأنعام : ١٠٨] وفي ذلك منع للمهاترات والحروب الدينية وإحياء لروح الحرية والإحترام بين الجميع .

وتأمل كم تدعم الآيات الصبر والمغفرة والكلم الطيب لإشاعة السلام : **فاطر** : **الآية** : ١٠ـ **الشورى** : ٤٣ . بل إن الله يمنح السلام النفسي للإنسان

بوعده بالمغفرة.. بحيث يتقبل الإنسان نفسه على أنه بشر يخطىء ويعود إلى ربه فيتحرر من التأثم وجلد الذات.. انظر مثلاً : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] .

هذا الموضوع يدعم ما سبق أن تحدثت عنه في الباب الأول من الفصل الثاني تحت عنوان : (هذا الكتاب يصنع خير أمة ويحميها).. وفي الحقيقة إن سنن القرآن متشابكة يدعم بعضها بعضاً.. وإنما أفرزها لتسهيل الرؤية والدراسة .

* * *

الباب الثاني : مشكلة الاستكبار والاستضعاف

وهي مشكلة العالم قديماً وحديثاً . . وقد نزلت الرسالات السماوية ؤلإنهائها . .

وجوهر المشكلة : الخلل بالتوحيد . . فالمستكبر يطغى ويطلب من الناس أن يخضعوا له وليس لله .

والمستضعف ينسى ربه ويخضع للمستكبر ويذل له . . والآيات تدور حول المحاور التالية :

١ـ المستكبرون يُذِلُّون الناس ويثيرون الفرقة .

٢ـ الاستضعاف هو السبب .

٣ـ إسقاط المستكبر بعدم طاعته .

٤ـ يرث المؤمنون الأرض . . وسنة استبدال الأمم .

١ـ المستكبرون يذلون الناس ويثيرون الفرقة بينهم

الإسراء : الآيتان : ٥ و٧ـ **النمل** : الآية : ٣٤ـ **القصص** : الآية : ٤ . . ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ إن فرعون بطغيانه جعل الناس طائفتين ـ طائفة تمثل أنصار فرعون يأتمرون بأمره ويضطهدون الضعفاء . . يقتلون الصبيان ويبقون على النساء أحياء للخدمة . .

وفي كل عصر يسعى الفراعنة للإيقاع بين الناس وفق خطة (فرِّق تَسُد) . . وقد زرعوا في أوصالنا (الطائفية) والتعصب كل لشيعته .

٢ـ الاستضعاف هو السبب :

يس : الآيتان : ٧٤ و٧٥ـ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ . . مريم : الآيتان : ٨١ و٨٢ـ الزخرف : الآية : ٥٤ـ ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ . فالمشكلة في أصولها كامنة في الناس وقابليتهم للخضوع . .

٣ـ إسقاط المستكبر بعدم طاعته :

وقد مارس سحرة فرعون لما آمنوا هذا الإسلوب وصبروا على الفتنة والعذاب إلى أن أهلك الله فرعون وجنوده . . فلنتأمل الآيات : ١٢٦ و١٢٧ـ ١٣٦ من سورة الأعراف .

والآيات : ٧٣ و٧٨ من سورة طه : والآيات : ٤٤ـ ٤٥ من سورة غافر .

وأما سورة العلق فقد نصت بصريح العبارة على منهج العلاج لهذا المرض : في الآية : ١٩ .

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ . فلئن توقف الناس عن طاعة الطاغية . . فماذا يبقى له ؟!

صحيح أنه سيمارس القتل والتنكيل بالمتمردين في البداية . . لكن بمزيد من الصبر والثبات لابد أن يسقط المستكبر . . والتاريخ يشهد بصحة هذه الخطة . ولن يرتقي المستضعف إلى هذا المستوى حتى يتشرب توحيد الله الخالق الحاكم المهيمن الذي بيده وحده النفع والضر كما قال إبراهيم : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ . . . ﴾ [الشعراء : ٧٨ـ ٨٢] .

وحتى يؤمن بأنه سَيُمتَحن وعليه أن يصبر حتى ينقذ روحه في الدنيا والآخرة . . وأنه حتى لو مات فسيكون سبباً في تحرير من يأتي بعده . . وأن الطاغية لا بد أن يسقط ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم : ١٣] .

٤ـ يرث المؤمنون الأرض :

وتستبدل الأمة بأفضل منها :

وقد سبق أن تحدثت عند (سنن الدنيا) من الفصل السابق عن قانون وارثة الأرض : ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ـ ونزيد الأمر هنا تأكيداً . . فإن المستضعفين بعد أن يخرجوا من عبادة الطاغوت ويتفاعلوا مع توحيد الله ويصبروا على الأذى . . يمن الله عليهم . . فلنتأمل الآيات التالية : **الأعراف** : ١٢٨ و١٢٩ـ و١٣٧ ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ . . وتأمل باقي الآيات : **إبراهيم** : ١٤ـ **النحل** : ٤١ـ **الكهف** : ٨٤ و٨٥ ـ **الحج** : ٤١ـ **النور** : ٥٥ـ **القصص** : ٥ و٦ـ **الزمر** : ٧٤ ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ . . ﴾ .

ـ ويتحدث القرآن منذراً المؤمنين من التخاذل والتردي فإن الله يستبدل الأمة بأفضل منها وهي سنة لارتقاء الحياة . . واستمرار التقدم الإنساني . . فالتاريخ يمشي نحو الأفضل باستمرار . .

يونس : ١٤ـ **هود** : ٥٧ـ **الأنبياء** : ١١ـ **محمد** : ٣٨ حيث يخاطب المسلمين مباشرة : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ .

* * *

الباب الثالث : شرطان لنجاح الأعمال
(من سنن الفلاح)

وهذا موضوع أفرده الأستاذ جودت سعيد بكتاب قيم : العمل : قدرة وإرادة .

ومصطلحاته وردت في القرآن : الإخلاص : هو الإرادة وهو الإيمان ومن أوصافه الحفيظ ـ الأمين (المخلص) والصواب : هو القدرة ـ والعلم ـ والقوة ـ والسداد ـ والرشاد .

والقاعدة التي تتحدث عنها الآيات أن العمل حتى يقبل في الآخرة وينجح في الدنيا يجب أن يتوفر فيه الإخلاص والصواب ذكر ذلك في الآيات التالية : **البقرة** : ١١٢ـ **الكهف** : ١١٠ـ **طه** : ١١٢ـ **الأنبياء** : ٩٠ـ **يوسف** : ٥٥ـ **القصص** : ٢٦ـ **الأحزاب** : ٧٠ و٧١ـ **المجادلة** : ١١ ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . وتأمل الآية ٢٦ من القصص : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ إذ لا ينفع وصف بدون الآخر . . . والآيات في هذا المجال تدور حول خمسة محاور :

١ـ الإخلاص (الإرادة) . ٢ـ الصواب (العلم) . ٣ـ الدخول الفني للمشكلات . ٤ـ القيام بالأسباب . ٥ـ ما ينفع الناس يمكث في الأرض .

وفي النهاية يتم النور ويظهر الحق .

١ـ الإخلاص (الإرادة) :

وهي من امتيازات الإنسان فهو قادر على الاختيار والإخلاص لما يختار . فلنتأمل الآيات التالية : **التوبة** : ٤٦ـ **النساء** : ٣٥ـ **الإسراء** : ١٨ و١٩ـ **الشورى** : ٢٠ .

خذ مثلاً ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦] .

ـ الإرادة هي الدينامو المحرك للإنسان. . فإن وجدت عنده اجتهد في البحث عن الطرق والوسائل لتحقيق ما يريد. . وقد تكون الإمكانات والوسائل كلها متوفرة لكن فقدان الإرادة يبقيها معطلة. . ولا بد من ملاحظة أن فاقد الإرادة مؤاخذ وقد يكون كافراً أو منافقاً إن تظاهر بالإيمان ولم يتحرك. . وقد كشفت سورة التوبة عن نوعين في الأمة ـ غير المؤمن القادر ـ نوع يدعي الإيمان لكن لا يتحرك لنصرة الدين رغم اقتداره. . ونوع مخلص يتمنى الجهاد ولكن لا يملك القدرة عليه فهو يبكي ﴿ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] وهذا الصنف مأجور لأنه يملك الإرادة ولا يملك القدرة .

٢ـ الصواب :

القدرة ـ أو العلم ـ وقد ورد في العهد القديم : (أنا الفهم لي القدرة) .
فلنتأمل الآيات التالية :

البقرة : ٢٦٩ (الحكمة) ـ **التوبة** : ٩٧ (فقدان العلم) ـ **التوبة** : ١٢٢ (استنفار لطلب العلم) **الكهف** : ١٠٤ـ **الأنبياء** : ٢٤ـ **النمل** : ٤٠ـ و٩٣ـ **فصلت** : ٢٣ و٥٣ـ **الجمعة** : ٢ . خذ مثلاً .

ـ ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] إن الجهل هو سبب الإعراض « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » وسبب الفشل والإفساد في الأرض ولذلك يأتي الاستنفار العجيب : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٢] إن الجاهل بسنن الله سوف يصطدم بها ويفسد أكثر مما يصلح ـ ولو كان مخلصاً ـ ولا يحذر الأخطار إلا من يعرف . .

ـ ويسجل القرآن بعض العوائق في طريق الصواب والعلم :

١ـ الإنسياق وراء العواطف.. تأمل الآية : ١٩ من **النساء** : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾.. وكم حذرنا القرآن من القرارات العاطفية لأنها تضيع الأهداف والتربية القرآنية تمنح المؤمن الانضباط العاطفي.. تأمل التحذير في الآية : ٢٣ من **الحديد** : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾...

٢ـ التسرع في الحكم والقول بغير علم : ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ **الحجرات** : ٦ـ ﴿ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ ﴾ **النساء** : ٩٤ـ ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ **النور** : ١٥.. فلقد منحك الله وسائل العلم فلماذ أهملتها..؟! ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ **الإسراء** : ٣٦ إن هذا التسرع بدون تفكر قد يؤدي إلى عواقب اجتماعية ونفسية وخيمة .

٣ـ الآبائية : وهي تعوّق التوحيد والحضارة.. لأن الوقوف عند أفكار الآباء يعوق كل تقدم . تأمل في الآيات التالية **البقرة** : ١٧٠ـ **الشعراء** : ٧٢ إلى ٧٤ـ **الصافات** : ٦٩ و٧٠ـ **الزخرف** : ٢٢ إلى ٢٤ التي تقول : ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ... ﴾ قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون » والناس تشك في كل فكر جديد وتعاديه.. كل الكشوف والاختراعات قاومها الناس في البداية وتشككوا في جدواها.. لأن تراث الآباء متعمق ومتجذر في النفوس.. لكن الآبائية تتقلص ويضمحل أثرها..

٣ـ الدخول الفني لحل المشكلات :

أي دراسة المشكلة لمعرفة أبواب الدخول إلى حلها . انظر مثلاً قول الله في الآية ١٨٩ من سورة **البقرة** : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » والآيات تفهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . . وبهذا نجد الآية تحث على الدخول إلى الأمور من أبوابها . . وهذا يقتضي كشف مفاتيحها وشروط الفلاح في استيعابها وإيجاد الحلول لها . . ألم نتأمل مراراً الحل الإبداعي الذي أرشدنا الله إليه عند الخصومات ؟! « ادفع بالتي هي أحسن » إنه المفتاح لإنهاء الخصام بل وإنهاء العداوة والكراهية . .

ـ كذلك تطلب منا الآية ٦٧ من سورة يوسف ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ أن نبحث عن طرق متعددة وربما جديدة للوصول إلى الأهداف . . إنه الحث القرآني المستمر على التفكير والإبداع .

٤ـ القيام بالأسباب :

ومن الطبيعي أن يأتي العمل بعد الإخلاص والوصول إلى الصواب . . وبعد أن عرفت الطريق فالزمه ولو كنت وحدك . . ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ . . ﴾ [الفتح : ٢٦] .

فقد كشفوا أن نقض العهود خسارة : **البقرة** : ٢٧ـ **والرعد** : ٢٥ـ وأن انهيار الأمة يبدأ من الأخلاق .

ـ إن الذين ملكوا الإرادة والقدرة أولئك الذين ملكوا التمكين الإلهي ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ۞ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف : ٨٤ـ ٨٥] . . وانظر إلى الإنسان الذي حمل رسالة العدل وكشف الصراط المستقيم الذي يوصله إلى

أداء دوره.. هل يستوي هو والآخر.. ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ؟! [النحل : ٧٦].. وحتى مريم وهي في حالة مخاض يأمرها ربها بالقيام بالأسباب : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم : ٢٥] .

ـ ولأن البيئة لها أثر كبير في صناعة الإنسان وصلاحه كما تقرر الآية : ٥٨ من **الأعراف** : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾.. فإن الله يأمر بإصلاح الأرض وعدم إفسادها مادياً وفكرياً.. ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] وكذلك في سورة **هود** : ٨٥.. ولقد كانت ملكة سبأ ـ رغم رجاحة عقلها كما توحي الآيات ـ متأثرة بدين قومها وثقافتهم إذ يعبدون الشمس ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [النمل : ٤٣] ونوح كان يتوقع لقومه ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] فدعا عليهم .

وإن من دأب الظالمين أن يفسدوا كل شيء ويهلكوا الحرث والنسل ويقلبوا الموازين فيصبح (القصر المشيد) أهم من الآبار التي هي مصادر للحياة ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج : ٤٥] .

٥ـ ما ينفع الناس يمكث في الأرض :

وهي بشارة لنا بأنه سيتم النور ويظهر الحق في النهاية .

إن التاريخ يمضي صاعداً للأفضل.. وكل الأفكار والأعمال والوسائل والمخترعات.. تغربل باستمرار فيطوى ما لا نفع فيه لأكثر الناس ويأتي الأنفع

فيمكث ويبقى في الحياة. . ونحن نشهد باستمرار في عالم الوسائل كيف تَنْسَخُ الوسائل الأكثر نفعاً ما قبلها. . فما أعظم هذا التفاؤل الذي تبثه الآيات في قلوبنا. . فلنمض مع الآيات : **التوبة** : ٣٢ و٣٣ـ **يونس** : ٨٢ ـ **الرعد** : ١٧ـ **الأنفال** : ٧ و٨ ـ **الإسراء** : ٨١ ـ **سبأ** : ٤٨ و٤٩ـ **فاطر** : ١٠ـ **الشورى** : ٢٤ـ **الفتح** : ٢٨ـ **الصف** : ٨ و٩ـ **النصر** .

ـ يضرب الله لنا مثلاً في سورة الرعد عن انتفاش الباطل وغروره. . بالسيل الطاغي الذي يعلوه الزبد ﴿ فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ. . ﴾ (١٧) .

والنفعية مقياس وميزان لكل ما يستجد من الأفكار والأشياء والأساليب. . وبمنطق النفعية خاطب إبراهيم قومه عن الأصنام « هل ينفعونكم أو يضرون » . لكن النفعية القرآنية تختلف عن (الذرائعية أو البراجماتية). . من حيث أنها نفع لأكثر الناس ولأطول مدة ممكنة. . ومع التقدم في المعرفة سيكشف الناس ضرر الباطل وعظمة الحق ويتحقق وعد الله ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨ ـ ٩] ولئن عرف الناس أن الإسلام يحقق لهم الأنفع في حياتهم لدخلوا في دين الله أفواجاً. . وهو العصر الذي تبشر به سورة النصر فقد وعد الله به وبشر النبي بأحاديث عدة بمجيئه وانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها .

❊ ❊ ❊

الباب الرابع : البلاء فرصة للمراجعة والتصحيح

المحنة إن لم تقض عليك زادتك قوة.. والبلاء امتحان لإيمان الإنسان وثباته وجدارته بتكريم الله..

والآيات في هذا المجال تدور حول أربعة محاور : ١ـ امتحان لصدق الإيمان . ٢ـ فرصة لكشف الخطأ والتصحيح . ٣ـ تطوير قدرات الإنسان . ٤ـ الصبر قوة متغلبة .

١ـ امتحان لصدق الإيمان :

وأكثر آيات البلاء والفتنة هي من هذا النوع فلنتأمل ما يلي :

آل عمران : الآية : ١٤٠ـ والآية : ١٥٤ـ **الأعراف** : ١٢٩ـ **التوبة** : ١٢٦ـ **طه** : ١٣١ـ **الأنبياء** : ٣٥ـ والآية : ١١١ـ **الحج** : الآية : ١١ـ **المؤمنون** : ٣٠ـ **النمل** : ٤٠ـ **العنكبوت** : الآية : ٢ـ و١١ـ **الأحزاب** : ١٠ و١١ـ **الزمر** : ٤٩ـ **محمد** : ٣١ـ **التغابن** : ١٥ـ **الجن** : ١٦ و١٧ـ **الفجر** : ١٥ و١٦ .

ـ ولنتأمل افتتاح سورة العنكبوت : ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.. والله يعلم الغيب والشهادة.. وعلمه كامل بكل أحوالنا لأنه رب السماوات والأرض وهو أعلم بمن خلق.. لكن لا يحاسب الناس بحسب علمه بالغيب وإنما بما قاموا به في علم الشهادة.. تحقيقاً لتمام العدل ولإقامة الحجة على الناس..

٢ـ فرصة لكشف الخطأ وتصحيحه :

وعندها يصبح البلاء رحمة. . وليس ذلك إلا للمؤمن الذي يقلب النظر في العواقب ويعتبر. . وكثيراً ما تكشف الأيام أن البلاء كان فيه خير كثير. . لما فيه من تعلم وتصويب. . نتأمل ما يلي :

الأعراف : ١٦٨ـ **الإسراء** : ٧ و٨ ـ **النور** : ١١ـ **الروم** : ٤١ـ **القلم** : ١٧ .

ففي الآية ٤١ من سورة الروم بيان جميل لهذا المغزى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إن رؤية عواقب الأعمال هي أكبر معلم وبها تحدث التوبة ورحمة التصحيح .

٣ـ البلاء فيه تطوير للقدرات :

ويكسبك خبرات ومهارات ـ وعندها تتحول المحنة إلى منحة. . نتأمل الآيات :

البقرة : ١٥٥ و١٥٦ـ **آل عمران** : ١٤١ـ **المائدة** : ٤٨ـ **الأنفال** : ١٧ـ **الكهف** : ٧ـ **الدخان** : ٣٣ـ **الملك** : ٢ .

ويتجلى ذلك بقوة في الآية ١١ من سورة **البلد** : ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ . . العقبات تبني الفرد والأمة. . وكما تحدث مالك بن بني : إن العقبات مؤشر جيد في حياة الأمة. . لأنها تتحدى قوى الفرد والأمة. . ويحدث التغيير والتطوير عند إعمال الذكاء للتغلب على العقبة. . حتى أن المؤرخ توينبي يعتبر التحديات محركات للنهضة وبناء الحضارة. . وكم من الشعوب بقيت خاملة لأنها منعمَّة مكفية الحاجات .

ومواجهة العقبات وتحمل مشقة التغلب عليها يمنح الإنسان الصبر الإيجابي البناء وهو المحور الرابع :

٤ـ الصبر قوة متغلبة :

وهو ما تؤكد عليه الآيات التالية :

البقرة : ٢٤٩ـ آل عمران : ١٢٠ـ و١٨٦ـ النساء : ٢٥ـ الأنعام : ٣٤ـ هود : ١١٥ـ النحل : ١٢٦ و١٢٧ـ القصص : ٨٠ ـ الروم : ٦٠ـ غافر : ٧٧ـ فصلت : ٣٥ـ الطور : ٤٨ .

فلنتأمل الآية التي جمعت بين البلاء والصبر ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

وكيف أصبح بناء الإنسان بالصبر على البلاء والتقوى ليكون من أولي العزم.. إنه إنسان النهضة القوي المتماسك الذي لا تحطمه الصعوبات والعقبات.. بل هو يقع عليها فيفتتها..

ـ كذلك في العلاقات مع المعتدي ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۞ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ فلولا اليقين بما عند الله لما استطعنا الصبر.. لكن العليم الحكيم يقول أن الصبر خير من أن تعاقب.. ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ فكل إنسان قد اختار مصيره ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ فلن يضروك وإنما يمكرون بأنفسهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

المحسنون لا يندمون على صبرهم وسماحتهم.. المحسنون سعداء بنصيبهم من الله (المعيّة) .

* * *

الباب الخامس : العواقب

والحديث مستفيض في القرآن عن العواقب. . والفرد والأمة لا بد لهما من التدبر في النتائج والعواقب. . فكل عاقل يهتم بمآل الأمور. . ويريد لنفسه السلامة من النتائج الوخيمة. . والحديث في هذا المجال يدور حول أربعة محاور :

١ـ العواقب للأعمال وليس للأماني . ٢ـ عواقب الأعمال هي الحَكَم .
٣ـ لا تغتر بالعاجلة . ٤ـ عواقب الأمم السابقة تهدي للسنن .

١ـ العواقب للأعمال وليس للأماني .

وقد وردت في ذلك آيات كثيرة منها :

البقرة : الآية : ١٣٤ـ والآية : ١٤١ـ **آل عمران** : الآية : ١٥٥ـ والآية : ١٨٢ـ **النساء** : الآية : ١٢٣ـ **الأنعام** : ٧٠ـ **الرعد** : ٣١ـ **النحل** : ٩٧ـ **طه** ٤٨ـ و١٢٤ـ **الحج** : ٤١ـ **النمل** : ١٤ـ **القصص** : ٣٧ـ و٤٠ـ و٨٣ ـ **الروم** : ١٠ـ **الزمر** : ٥١ـ **الزخرف** : ٢٥ـ **الأحقاف** : ١٩ـ **المزمل** : ٢٠ـ **الانشقاق** : ٦ـ **الزلزلة** : ٧ و٨ ـ .

ـ انظر مثلاً : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] . . وقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] يختار الله أحسن الأعمال ليجازي عليها فما أعظم حلمه وكرمه. . واللافت للنظر أن الآية تتحدث عن الفرد المؤمن

وتعده ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ فهو وعد بحياة طيبة في الدنيا. . وكما سبق أن ذكرنا عند سنن الحصول على الدنيا. . أن النتائج في الدنيا جماعية وليست فردية. . لكن الحياة الطيبة هي أعظم من الحصول على الدنيا. . إن سعادة الصلة مع الله لا تدانيها سعادة. . والإحساس بنعمة الهدف السامي والأناقة الفكرية والأخلاقية يمنح النفس نوعاً من الرضى. . يجعل الحياة طيبة للمؤمن مهما أحاطته الصعوبات .

٢ـ عواقب الأعمال هي الحكم :

وهي الميزان الدقيق الذي يشير إلى الأعمال الجيدة أو الفاسدة مع مراعاة : أن النتائج تأتي بحسب الأكثرية ـ وأهمية التمييز بين العواقب العاجلة والأخرى الآجلة. . فلنتتبع الآيات التالية : **يونس** : الآية : ٧٣ـ و٩٦ و٩٧ ـ **هود** : ١٢١ و١٢٢ ـ **مريم** : ٧٤ ـ **طه** : ١٣٥ ـ **الشعراء** : ٢٠١ ـ **هود** : ٩٣ ـ **السجدة** : ٣٠ ـ **ص** : ٨٨ ـ **الزمر** : ٣٩ و٤٠ ـ **الشورى** : ١٥ ـ **الدخان** : ٥٩ ـ **الطور** : ٣١ ـ **النجم** : ٤٠ و٤١ ـ **الرحمن** : ٦٠ ـ **القلم** : ٥ و٦ .

ـ ومن الناس من لا يصدق حتى يرى العاقبة كما تقول الآيات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس : ٩٦ـ٩٧] .

وقد أُمِرَ النبي ﷺ أن يتحدى قومه بالعواقب : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ۝ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود : ١٢١ـ ١٢٢]. . . إنه تحد مليء بالثقة بسنن الله وبمنتهى الدقة العلمية. . مقابل مطالبة المشركين بالمعجزات الحسية. . فالعقل في القرآن وقوانين الله في الحياة هي المعجزات في الإسلام.

٣ـ لا تَغْتَرَّ بالعاجلة :

فالله يملي للظالم ويمهله فإذا أخذه لم يفلته. . والآيات كثيرة منها :

آل عمران : ١٧٨ـ و١٩٦ و١٩٧ ـ **الأنعام** : ٤٤ ـ **الأعراف** : ١٨٢ و١٨٣ ـ

الرعد : ٣٢ ـ مريم : ٧٥ و٧٩ ـ الحج : ٤٤ و٤٨ ـ الشعراء : ٢٠٥ إلى ٢٠٧ ـ الذاريات : ٥٩ ـ القلم : ٤٤ و٤٥ ـ الطارق : ١٥ إلى ١٧ .

كذلك تأتي آيات تنص على أن العبرة بما هو خير وأبقى . . انظر مثلاً :

الكهف : ٤٦ ـ مريم : ٧٦ ـ طه : ٧٣ ، ١٣١ ـ القصص : ٦٠ ـ الشورى : ٣٦ ـ الحديد : ٢٠ ـ الجمعة : ٩ و١١ .

ـ وذلك أن النتائج الحقيقية تحتاج إلى وقت كي تنضج وتظهر ولهذا يقولون (من يضحك أخيراً يضحك كثيراً) ولنتأمل آيات سورة الجمعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۞ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ابتداء لا بد من تمحيص المركزية بأن تكون لله . . وإن ذلك لن يحرمك من رزق الدنيا . . بل أنت مأمور بالسعي إليه بعد أداء العبادة . . دون أن يفتر قلبك ولسانك عن ذكر الله . . فإن ذلك يبارك لك في الرزق وهو الخير والأبقى (الذكر) .

ـ وتأمل قصة موسى في سورة القصص وكيف يظهر الفارق بوضوح بين العاجلة وما هو خير وأبقى . . موسى يُلقى في اليم تتقاذفه الأمواج . . بينما يقول الله لأمه : ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ . . موسى ينجو من اليم ويصبح رسولاً . . بينما يأخذ اليم فرعون وجنوده . . (القصص من ٧ إلى ٤٠) .

٤ـ عواقب الأمم السابقة تهدي للسنن . .

ولعله لا تكاد تخلو سورة من القرآن من الإشارة إلى ذلك . . وقد أحصيت في هذا المجال الآيات التالية :

البقرة : ٦٦ ـ آل عمران : ١٣ و١٣٧ ـ النساء : ٢٦ ـ الأنعام : ٦ و١١ ـ الأعراف : ٤ و٨٤ و٨٦ و١٠٣ ـ الرعد : ٤٢ ـ يونس : ١٣ و٣٩ و٧٣ ـ يوسف : ١٠٩ ـ الحجر : ١٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ـ النحل : ٣٦ ـ طه : ١٢٨ ـ الأنبياء : ١١ ـ النور : ٣٤ ـ الفرقان : ٣٧ و٣٨ ـ الحج : ٤٥ و٤٦ ـ المؤمنون : ٣٠ـ ٤٤ ـ الشعراء : ٦٧ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ مكررة سبع مرات بعد إهلاك كل أمة .

النمل : ٥١ و٥٢ و٦٩ ـ القصص : ٤٣ـ ٥٨ ـ ٧٨ ـ الروم : ٩ـ ٤٢ ـ السجدة : ٢٦ ـ سبأ : ١٩ ـ فاطر : ٤٤ ـ يس : ٣١ ـ العنكبوت : ٣٥ ـ الصافات : ٧٣ ـ غافر : ٢١ ـ ٨٢ ـ فصلت : ٢٥ ـ الزخرف : ٥٦ ـ الدخان : ٣٧ ـ الأحقاف : ١٨ و٢٧ ـ محمد : ١٠ـ ١٣ـ ق : ٣٦ ـ الذاريات : ٣٧ ـ القمر : ٤ـ ١٥ ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ مكررة ست مرات وهي الآية ١٦ ـ ٣٣ـ ٣٤ـ ٥١ سبأ : ٤٥ ـ التغابن : ٥ و٦ ـ الحشر : ٢ و١٥ ـ الطلاق : ٨ و٩ ـ المرسلات : ١٦ إلى ١٨ ـ الملك : ١٨ ـ الحاقة : ١٢ و٤٨ ـ المزمل : ١٩ ـ النازعات : ٢٦ ـ الفجر : ١٣ ـ الفيل : ١ و٢

ـ وصدق الله الذي قال ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بدراسة التاريخ ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الروم : ٤٢] فالتاريخ جعله الله لنا أعظم معلم . . فيه ظهرت العواقب بشكل جلي . . فهو العلم التجريبي . . وهو مختبر العلوم الإنسانية . . جرت فيه التجارب الإنسانية وانكشفت به سنن الحياة وقوانينها لمن فتح عينيه وعقل الأحداث ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] وما أحوج الدعاة إلى الله للاستفادة من دروس

التاريخ لتخطيط طريق النهضة للمسليمن .

أخيراً أشير إلى استثناء وحيد ذكره القرآن عن نتائج الدنيا ورد في سورة الأعراف حين حدثنا عن القرية التي كانت حاضرة البحر حين اعتدوا بالصيد يوم السبت (من ١٦٣ إلى ١٦٦) . . وكيف قام فريق منهم باستنكار هذا العمل ووعظوا قومهم . . فلم يرتدعوا . . فيحكم الله بنجاة الذين كانوا ينهون عن السوء ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ . . .﴾ فكيف نجا هؤلاء مع علمنا بأن نتائج الدنيا تأتي بحسب أعمال الأكثرية ؟!

لعل العصاة لم يكونوا هم الأكثرية . . ولعل العقوبة تأتي لمن يمارس الذنب نفسه أحياناً . . كالذين يشربون الخمر في أمة من الناس . . فيأتي المرض للشاربين فقط . . فبعض الذنوب لا تعم نتائجها على الجميع . . بينما هناك ذنوب لها بعد اجتماعي . . مثل كتمان الحق . . والجهر بالفواحش . . والانحلال الأخلاقي . . فهي كالأوبئة تسبب العدوى . . وتعم نتائجها على الجميع .

وحادثة القرية التي اعتدى بعض أهلها بالصيد يوم السبت كأنها من نوع الذنوب التي ليس لها بعد اجتماعي . . ولهذا نجا الذين كانوا ينهون عن السوء . . والله أعلم .

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس

استنتاجات

١ـ أبدأ بتأمل أعداد آيات السنن في أجزاء القرآن وسوره . فقد لاحظت ما يلي :

ـ جاء جزء عم في الصدارة فقد نص على تسع وخمسين (٥٩) من آيات السنن . . (وهو جزء الصغار والكبار) .

ـ وجاء بعده جزء (قد سمع) الذي نص على ست وخمسين من آيات السنن . وهو الجزء الذي تحدث عن شؤون الأسرة والمرأة في أكثر سوره . . .

ـ وجاء في المرتبة الثالثة جزء (الأحقاف) الذي نص على واحد وخمسين من آيات السنن (٥١) وسورة محمد فيه وقد نصت وحدها على ثمان عشرة (١٨) من آيات السنن ولا تشغل سوى أربع صفحات .

ـ وفي المرتبة الرابعة يأتي جزء تبارك الذي نص على أربع وأربعين آية (٤٤) من السنن .

ـ أما سورة البقرة وآياتها (٢٨٦) آية وتشغل أكثر من جزئين من القرآن فقد نصت على أربع وستين آية من آيات السنن . . لكن يمكن أن يضاف إلى ذلك الحديث الطويل فيها عن بني إسرائيل وما وقعوا فيه من أخطاء وما حصلوا من نتائج في ثلاث وثمانين آية (٨٣) ويمكن استخلاص سنن كثيرة منها .

ـ ونلاحظ أن سورة الأنفال وعدد آياتها (٧٥) قد نصت على (٣١) آية من آيات السنن (قريبا من النصف) .

ـ وتأتي بعدها سورة التوبة وعدد آياتها (١٢٩) وقد نصت على (٤١) آية من السنن أي ثلثها تقريباً .

ـ أي أن كون السورة مكية أو مدنية لا يؤثر في تعداد آيات السنن فيها . . وإنما مواضيع السور تستتبع ذلك .

٢ـ وبعد استعراض آيات الاستخلاف وسننه دهشت . . إذ لم أكن أتصور أن أجد في القرآن هذا الحديث المستفيض عن ذلك . . حتى يبدو وكأنه كتاب نزل لوضع خارطة طريق للإنسان كي يحقق أحلامه بحياة أصلح وأفضل على ظهر الأرض . . مستشهداً بحياة الأمم السابقة التي تاهت عن معالم الطريق وذاقت مرارة عواقب الدنيا . . ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۞ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٨ ـ ٩] .

ولئن كلف الإنسان بأخطر دور في الحياة على الأرض . . فلقد قُدِّمتَ له التسهيلات المناسبة وأعين بإطلاعه على سنن الحياة ومفاتيح الدخول إلى الحياة الطيبة بحيث يكون مصلحاً ومعمراً في الأرض فكيف لم ننتبه إلى ذلك ؟! وكيف تأخرنا عن الانكباب على هذه العلوم الإنسانية ؟!

٣ـ وتكشف الآيات عن التناغم العجيب بين العبادات وأحكام الإسلام مع سنن إصلاح الأرض والحياة . . وقد أخبرنا الله أن التقدم في كشف آيات الآفاق والأنفس سيشهد للقرآن بأنه الحق ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] . والله العليم الحكيم خالق الإنسان والكون وهو أعلم بما يصلح لخلقه . . وحتى الرافضين لدين الله لا يملكون الخروج على سنن الله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] فما أضيع الإنسان حين يكابر ويمعن في رفض الدين وهو منساق ضمن مساره دون أن يدري وستأتي اللحظة التي يكشف فيها كم فرّط بحق نفسه . . ولكن بعد فوات

الأوان . . ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] .

وأما الذين ولدوا على الإسلام ولم يدرسوا آياته وسننه في القرآن فهم يخبطون خبط عشوان في هذه الحياة وهم في غاية العجب . . كيف لا يستجيب الله لدعائهم ولا يمنحهم القيادة والريادة للناس . . ؟! بل إنهم - مع بالغ الحزن والأسف - مسخرون لأغراض الكافرين الذين برعوا في الدراسة والتخطيط . .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ـ١٠٤] .

٤ـ وقد لاحظنا كم أكد الله ثبات سننه وقوانينه « ولن تجد لسنة الله تحويلاً ولن تجد لسنة الله تبديلا » فالماكرون لا بد أن يسقطوا . . والظالمين لا بد أن يهلكوا . . والعاقبة للمتقين . . لكننا مستعجلون . . ولا نرى أبعد من أنوفنا . . ولا نسعى لجعل أنفسنا في زمرة (المتقين) حتى ننجو في الدنيا والآخرة . . ولئن لم نتعلم سنن الله . . وتخاذلنا عن القيام بالأسباب . . فسنخسر إيماننا ونقع في ظلمات الشك والتكذيب أمام الواقع المرير الذي يحيط بنا . . فهل من مدّكر . . . ؟!

٥ـ ونحن على أعتاب عصر جديد يظهر فيه جيل جديد يعود إلى آيات الله المقروءة والمنظورة في الكتاب وفي الآفاق والأنفس (الواقع) ـ يكشفها ويتشربها في عقله وتملأ عليه جوارحه . . ليشرق فجر للإنسانية جديد تمحي فيه ظلمات الجهل والكفر . . وتطوى فيه أمراض الاستضعاف والاستكبار ويتبدي للخلق كلهم روعة هذا الإنسان الخليفة الذي خرج على ظن الملائكة وأثبت علم الله فيه حين كرمه وأسجد له ملائكته . . . ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] فلنواجه الأمور بالتفاؤل لأننا موعودون بانتشار الإسلام .

٦ـ ومع ذلك فهناك أعمال كثيرة لم تنجز بعد منها :

١ـ تجديد التفكير الديني واستنباط الأفكار الحيوية والإبداعية من النصوص .

٢ـ تعميم ونشر الفكر الديني الجديد على كل شرائح المجتمع .

٣ـ وضع برامج تعليمية وتربوية لتأهيل نخب من الرجال والنساء.. أي صناعة جيل النهضة .

٤ـ ابتكار مشاريع ومؤسسات في المجتمع المدني تقوم على إعادة الإعمار للفرد والمجتمع مادياً ونفسياً وفكرياً.. باستغلال الوسائل المتاحة تغذيها الثروات المحلية..

* * *

وفي الختام

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات . .

الحمد . لله الذي متعني بساعات أجول فيها عبر آيات القرآن . . خلافاً لما تعودناه من قراءات (ختمية) للقرآن قلَّما تخللتها وقفات للتدبر والتأمل . .

وبعد فإني أعلم أن بحثي هذا فيه ثغرات . . وربما كان في حاجة إلى كثير من المراجعة والبيان والتفصيل والتحقيق والتصحيح . . ولكن هل هناك عمل إنساني كامل . . ؟! بل إن الأعمال الإنسانية تأتي متكاملة . . وحسبي أن أكون قد أثرت شهية الباحثين لدراسة هذا الموضوع وسبرغوره . . وفي عصر النهضة يأتي كل جهد أفضل ممن سبقه . . ولعلي لم أقع في تكرار ما قد قيل في مؤلفات سابقة لكثيرين بذلوا جهدهم من قبلي مشكورين ومأجورين . .

لكننا مضطرون للبحث عن فكر جديد . . وتفعيل لأفكار حيوية سبق أن عرضها مفكرون مجددون . . لأن ما نحمله من أفكار . . وما نقوم به من أعمال لم يكن كافياً لحمايتنا ومساعدتنا على إعادة النهضة لأمتنا . . ولعلنا اتخذنا الأفكار السابقة حِلْية ولم نفعِّلها ونجعل منها خططاً ومشاريع مثمرة . . وهذا ما دفعني لإعادة فحص آيات القرآن لأفهم من جديد . . فلئن أصبت فمن فضل الله ولئن قصرت وأخطأت فمن نفسي . . . طامعة بمغفرة ربي وتوفيقه . . وسيأتي من يصحح ويكمل . . ولا حرج . . فإن الزبد سيذهب جفاء . . ويبقى ما ينفع الناس .

فالحمد لله أولاً وآخراً . . وأسأله حسن القبول وحسن الختام .

ملاحظة : كنت قد كتبت هذا البحث في ١٤٣٦هـ الموافق : آذار ٢٠١٥م لكنني عدت إليه في صيف ٢٠١٧م وقمت بدراسته من جديد وأدخلت عليه تعديلات . . حتى أنجز في الشهر الثاني من عام ٢٠١٨ ولله الحمد .

حنان لحام

المراجع

ـ القرآن الكريم

ـ صحيح الترغيب للطبراني

ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري

ـ صحيح البخاري

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل

ـ مقاصد القرآن . حنان اللحام

ـ العادات السبع للناس الأكثر فعالية ـ سيتفن كوفي

ـ حتى يغيروا ـ جودت سعيد

ـ العمل قدرة وإرادة ـ جودت سعيد

ـ من هدي سورة النساء ـ حنان اللحام

ـ البداية والنهاية ـ تاريخ ابن كثير

ـ تفسير سورة التوبة ـ حنان اللحام

ـ من هدي السيرة النبوية ـ حنان اللحام

ـ غاندي الإنسان ـ إكناث إيسوران ـ ترجمة غياث جازي

ـ تأملات مالك بن بني

ـ مختصر دراسة للتاريخ ـ تويبني

* * *

المحتوى

من أعمال المؤلفة

١ـ من هدي سورة البقرة .

٢ـ من هدي سورة آل عمران .

٣ـ من هدي سورة النساء .

٤ـ تأملات في سورة المائدة .

٥ـ تفسير سورة التوبة .

٦ـ أضواء وتأملات في سورة طه .

٧ـ من هدي سورة النور .

٨ ـ تأملات في سورة الأحزاب .

٩ـ من هدي سورة لقمان .

١٠ـ أضواء على سورة يسٓ .

١١ـ أضواء حول سورة الطلاق .

١٢ـ من هدي السيرة النبوية في التغيير الجتماعي .

١٣ـ مقاصد القرآن الكريم .

١٤ـ ومضات من التاريخ .

١٥ـ منزلة المرأة في القرآن الكريم .

١٦ـ سمية بنت خياط .

١٧ـ أم سليم بنت ملحان .

١٨ـ أم حكيم بنت الحارث .

١٩ـ ميلاد جديد ـ مجموعة قصصية للناشئين .

٢٠ـ الشمس والريح ـ مجموعة قصصية للناشئين .

٢١ـ وأدرك شهرزاد الصباح ـ مجموعة قصصية للناشئين .

٢٢ـ مجموعة سورة العصر ١/ ٧ .

٢٣ـ جيل العطش ـ مجموعة قصصية للناشئين .

٢٤ـ حكايات لأحفادي ١/ ٥ ـ من سور القرآن الكريم .

٢٥ـ حكايات لأحفادي ١/ ٢٠ ـ من قصص السيرة النبوية .

* * *